الإعجاز

علمية – دينية – فصلية
تصدر عن منتدى الإعجاز العلمي في القرآن والسنة – لبنان
العدد الثامن والعشرون، السنة السابعة، ربيع الأول ١٤٣٥هـ، شتاء ٢٠١٤م

أكثر من إعجاز علمي في سورة الطارق

في العدد:

الأسرة آخر الحصون
إستوصوا بالنساء خيرا

زوروا موقعنا الإلكتروني

الإسلام الإعجاز العلمي أرشيف المجلة المنتدى

www.iijazforum.org

للاستعانة بمواضيع وبحوث في الإعجاز

للاطلاع على محتوى الأعداد السابقة من مجلة "الإعجاز"

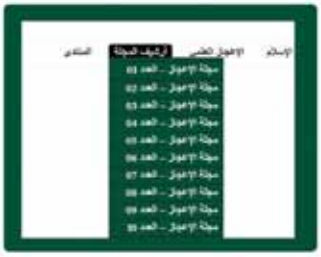

للاطلاع على مقالات التعريف بالإسلام

لمواكبة النظرة المتجددة للإسلام

للتعرف على منتدى الإعجاز العلمي أهدافا ونشاطات وأعضاء

للمزيد من الأسئلة والإيضاحات والاقتراحات راسلونا

الإعجاز

علمية - دينية - فصلية

تصدر عن منتدى الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في لبنان

العدد الثامن والعشرون – السنة السابعة – شتاء ٢٠١٤ م – ١٤٣٥ هـ

جمعية علم وخبر ٢٧٩/اد/٢٠٠٥/تعديل ٥٤/اد/٢٠٠٧

الفهرس

الأسرة آخر الحصون	أ.صلاح سلام	ص ٤
رحلة المعراج تأملات رقمية	د. عبدالله المسند	ص ٦
الإعجاز العلمي في سورة الطارق	ع. د. محمد فرشوخ	ص ١١
النبتات تفكر وتعقل	م. د. عبد الدائم كحيل	ص ٢٤
الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في السمع والبصر والفؤاد	أ.د. صادق الهلالي	ص ٢٩
الجبال بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي في القرآن	أ. د. زغلول راغب النجار	ص ٣٥
الرحمن علم القرآن	أ. باسم علي	ص ٤١
من علّم آدم	د.حسين رضوان اللبيدي	ص ٤٤
التحنيك يا أهل القرن الواحد والعشرين	أ. صلاح غلاييني	ص ٥٣
Medina Charter Of Prophet Muhammad and Pluralism	Sean William White	ص ٦١
عودة الى الأيام الخوالي	ع. د. محمد فرشوخ	ص ٦٥

رئيس التحرير: العميد الركن المتقاعد الدكتور محمد فرشوخ

العلاقات العامة: الأستاذ أحمد مختار الزاملي الاشراف الفقهي واللغوي: القاضي المهندس أسامة منيمنة

الهيئة الإدارية لـ «منتدى الإعجاز العلمي في القرآن والسنة» في لبنان:

الرئيس والمدير المسؤول: ع.ر.م. د. محمد فرشوخ
نائب الرئيس: الأستاذ باسم علي
أمين السر: الأستاذ بهيج مومنة
أمين الصندوق: الأستاذ أحمد مختار الزاملي
المحاسب: الأستاذ زهير الجندي
مستشار: الأستاذ صلاح سلام
مستشار: النقيب د. غسان رعد
مستشار: د. خالد حسين

توزع هذه المجلة مجاناً

الإخراج والطباعة: مطابع اللواء

صدر هذا العدد بدعم من إدارة جريدة اللواء

وبمؤازرة علمية من الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

للمساهمة في توسيع انتشار هذه المجلة
التبرع لدى بنك عودة رقم الحساب:
878 074 461 002 062 01

الافتتاحية

أ . صلاح سلام

الأسرة آخر الحصون

تعلمنا في المدرسة واختبرنا في الحياة أن الانسان مدني بطبعه، يأبى الانعزال ويحن إلى الجماعة، كما بشرتنا آخر الأبحاث والتجارب العلمية في كبريات المؤسسات العالمية بأن جينات الجنس البشري مفطورة على التعاون والمشاركة والمواساة.

ومع ذلك فإن القرن الواحد والعشرين وهو الذي جاء بعد قرن من العلوم والاكتشافات والاختراعات الهامة، يشهد، رغم التفوق التكنولوجي، تفوقاً في أدوات القتل ومنافسة وصراعاً في كل الميادين، صراع التملك والسيطرة، صراع الأقوى والأشد فتكاً، وليس الصراع بين الحق والباطل أو بين الخير والشر أو بين العلم والجهل.

وهنا مكمن الخطر على عقليتنا وقيمنا وعلى عقلية أولادنا وقيمهم، فالألعاب الإلكترونية تعبر عن هذا العصر المتحلل، وهي تضج بمشاهد القتل والقتال والتفجير وكذلك مضمون أغلب الأفلام السينمائية.

وحتى «موضة» الملابس والأحذية تظهر مثل هذه العقد النفسية وتجعل من يرتديها يتوهم أنه مقاتل شرس ورام ماهر وسائق مخاطر، بينما هو في الحقيقة عرضة لأمراض نفسية قد ترافقه طيلة حياته وقدً تخرجه من الحياة الاجتماعية والعملية لتتركه فريسة الظنون والتخيلات وتعجزه عن مواجهة متطلبات الحياة من علم وعمل ومشاركة.

في الأيام السالفة كانت حصوننا متعددة: الأسرة والعائلة والمدرسة والمسجد والمجتمع والوطن، وها هي الحصون تتداعى تباعاً حتى طرق الخطر أبواب الحصن الأخير، حيث الملاذ والدفء والحنان، وحيث أركان التربية والتوجيه والأخلاق والقيم، أعني به حصن الأسرة.

ويجري اختراق هذا الحصن من ثلاثة محاور: الأول التلفزيون يحل محل الأم والأب في التربية والتوجيه، وقد عوّد الناشئة على التعاطف مع المجرم والمنتحر والمغتصب. والثاني الانترنت ينوب عن المعلم والأستاذ بحيث يقدم أنواعاً من المعرفة بينما يدسّ في طياته في أحيان كثيرة أسوأ العلم وأسوأ المعرفة. والثالث الألعاب الإلكترونية التي لم تترك للكتاب ولا للقصة ولا للرسم ولا حتى للألعاب التربوية والتوجيهية والعلمية مكانا. ويكفي أن ننظر إلى رداءة خط اليد عند الصغار والكبار مسؤولين وعاديين لنقدر تدنّي التحصيل الثقافي عند الناس.

آن الأوان ليستدير الأهل ناحية البيت فيقللون من السهر خارجه ويخصصون للجلوس مع أولادهم وقتاً كافياً لنقل المعارف وللإطمئنان إلى أوضاعهم وعلاقاتهم، ولتصحيح أخطائهم ولتخصيصهم بالاهتمام اللازم.

لسنا بصدد تحديد المسؤليات وإلقاء اللوم، إنما هي كلمة حق لعلها تجد لها سامعاً غيوراً على أهل بيته فيسعفهم قبل فوات الأوان، وبانتظار إجراء حركة إصلاح حقيقية في المدارس والمساجد والمناهج ، ليت الآباء والأمهات يتنبهون لتدارك الأخطار التي تهدد الأسرة آخر الحصون.

كلمة العدد

علوم تعززها الأرقام

في هذا العدد بحوث غنية بالأرقام، فالبحوث القيّمة والتجارب الدقيقة، تتميّز بفضل ما تتضمنه من أرقام وأعداد كالإحصاءات والنسب والمقاييس والمكاييل تفرض على القارئ العادي أو المتخصص تقدير هذه البحوث والاكتشافات والاختراعات واحترام من يقف وراءها.

وفي الإسلام تحتل الأرقام حيّزاً كبيرا، في نسب الميراث وعدة الطلاق ومدة الحمل والرضاعة والفطام، ومدة الحيض، وتنوع الشهور القمرية ووظائفها، وعدد الشهود، وحد السارق والمرتشي والزاني وقاذف المحصنات وشارب الخمر... ففي القرآن الكريم والحديث الشريف منها ما يدفع إلى التساؤل عن أسباب كثرتها وأسباب ذكرها فضلاً عن التفكر في أهميتها ودقتها.

ففي إيراد الأرقام في الإسلام إشارة للعلماء وحافز كي يسبروا أغوار العلوم التي وردت أمهاتها في القرآن والحديث.

لكن السبب الأهم لوجود هذه الأرقام الدقيقة هو التحدي الإلهي لمن كان له عقل وضمير بأن الإسلام ليس ديناً من صنع البشر، بل هو دليل الصانع لكي يحسن المستهلك استعمال الآلات التي بين يديه أحسن استعمال ولكي لا يفرط بها ولا يسيء استغلالها أسوأ استغلال.

والصانع هنا هو الله تعالى، والمستهلك هو الانسان، والآلات هي أعضاؤه وما سخر له المولى تعالى من حيوان ونبات وجماد، ونور ورياح وسحاب وهواء وماء.

القرآن الكريم والحديث الشريف ليسا كتباً للزينة ولا للتسلية ولا للتشدق ولا للتفيهق. في كلام الله ورسوله إثارة للوجدان واستثارة للهمم، وتحفيز للعاقلين وتنبيه للغافلين. ولكي يتميز هذا الكلام عن سائر كلام الخلق تعزز بالأرقام الدقيقة، والأرقام الدقيقة تتحدى وتعجز من يحاول أن يثبت بطلانها. إنها معجزة مستمرة ما دام الليل والنهار.

رئيس التحرير

رحلة المعراج

«تأملات رقمية في السرعة والمسافة»

د. عبدالله المسند*

من المسلّم به عند كل مسلم أن حادثة الإسراء والمعراج – الحادثة المعجزة – جزء من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم. فهي منعطف كبير ومهم في سيرة المجتبى صلى الله عليه وسلم. رحلة المعراج فريدة بل ويتيمة في تاريخ البشر فلم ولن تتكرر والله أعلم. رحلة جمعت أفضل البشر مع أفضل الملائكة ليعرج به إلى أين؟ وأي طريق سلك؟ وأي وسيلة ركب؟ وأي سرعة بلغ؟ قصة المعراج قصة عجيبة وفي نظري أغرب ما روي من السيرة النبوية ... قصة معجزة وخارقة لنواميس الكون قاطبة ربطت الأرض بالسماء و الأحياء بالأموات والقريب بالبعيد والإنسان بالملائكة والحاضر بالماضي والحاضر بالمستقبل بل ربطت بين الدنيا والآخرة. لم تحدث لأحد من قبله صلى الله عليه وسلم وفقاً للنقل وربما لن تحدث لأحد من بعده ... بل ولم يزعم أو يتجاسر أحد من الدجالين أنه عرج به كما عُرج بمحمد عليه الصلاة والسلام ... حادثة فريدة غريبة في زمانها ومكانها وفصولها حتى دفعت قريشاً للتكذيب وبدون تردد ... بل وحتى لو حصلت في عصرنا هذا، عصر النانو والذرة، لكذب بها أكثر أهل الأرض إلا من فتح الله عليه ﴿*وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس*﴾ ... قصة المعراج بأي سرعة تمت؟ وأي مسافة قطعت؟ سؤالان محيران، قال تعالى ﴿*إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ*﴾ فدعونا نتفكر ونتأمل ونتدبر جانباً من جوانب القصة هي السرعة والمسافة .

لنضرب مثالاً يجسد الفكرة: المسافة المستقيمة بين مكة المكرمة والقدس الشريف حوالي ١٢٠٠كم، ولنفترض جدلاً أنها فقط ١٠٠٠كم ... سيقطعها الإنسان راجلاً في ٢٠٠ ساعة متواصلة تقريباً بسرعة ٥ كم/ساعة ... بينما تقطعها الدراجة الهوائية في ٥٠ ساعة بسرعة ٢٠ كم/ساعة ... بينما تقطعها السيارة بعشر ساعات فقط بسرعة ١٠٠كم/ساعة ويقطعها القطار السريع في ٣,٣ ساعة بسرعة ٣٠٠ كم/ساعة ... بينما الطائرة تقطعها بساعة واحدة عندما تكون سرعتها ١٠٠٠ كم/ساعة ... بينما طائرة الميراج على ـ سبيل المثال ـ تقطعها في ٥٠ دقيقة بسرعة الصوت ١٢٠٠كم/ساعة ... وفي سرعة دخول مكوك الفضاء إلى الأرض (٢٦٠٠٠ كم/ساعة) تُقطع المسافة بين مكة والقدس بـ دقيقتين فقط ... وبأعلى سرعة اخترعها الإنسان هي سرعة سفينة الفضاء وتبلغ (٥٤٤٠٠ كم/ساعة) تستغرق الرحلة بين المدينتين فقط دقيقة واحدة.

صورة لطائرة مخترقة حاجز الصوت

رحلة المعراج فريدة وعجيبة

المكوك الفضائي وهو يغادر الغلاف الجوي

وأخيراً لندع السرعة التقليدية ونحسب وفقاً لأسرع سرعة عرفها الإنسان إنها سرعة الضوء Lightspeed وتعادل ١٠٧٩٢٥٢٨٤٨كم/ساعة وتقطع المسافة بين المدينتين في ٠,٠٠٠٠٠٠٦ جزء من جزء من الثانية أي أسرع من لمح البصر فسبحان الذي بيده ملكوت السموات والأرض. منها ندرك ماهية سرعة الضوء، فدعونا نستخدم تلك السرعة الرهيبة والتي (لو) إستخدمها الإنسان جدلاً للسفر من مكة إلى نيويورك والمسافة بينهما (١٠٠٠٠كم) بسرعة الضوء لقطعها فقط بـ ٠,٠٠٠٠٠٠٦ جزء من الثانية أي أسرع من لمح البصر ... بينما لو استخدمت السرعة نفسها للسفر إلى القمر ومعدل بعده عن الأرض حوالي ٣٨١٧٠٦ كم لقطعت المسافة بـ ٠,٠٠٠٢ أي بثانيتين تقريباً. (...)

ولو سافر الإنسان بسرعة الضوء إلى الشمس التي تبعد عن الأرض بمتوسط ١٤٩٦٠٠٠٠٠كم لاستغرقت الرحلة ٠,٠٨ أي ثمان دقائق فقط ... بينما الرحلة بين كوكب الأرض وأبعد كوكب في المجموعة الشمسية بلوتو (٥٩٠٠٠٠٠٠٠ كم) على السرعة نفسها تستغرق ٣:٢٨ ثلاث ساعات و ثمان وعشرون دقيقة ... فلك أن تتخيل تلك المسافة البينية الهائلة بين كوكبي الأرض وبلوتو لدرجة أن السرعة التي ستقلك من مكة إلى نيويورك (سرعة الضوء) تستغرق معها لمح البصر بينما بين الكوكبين ثلاث ساعات وثمان وعشرون دقيقة ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾.

ولك أن تتخيل ضعفنا وحجمنا نحن سكان الأرض فلو سافر الإنسان بسرعة سفينة الفضاء كما أسلفنا وتبلغ (٥٤٤٠٠ كم/ساعة) لاستغرقت الرحلة بين الكوكبين ٦٥٠٧٤ ساعة أي ٢٧١١ يوما أي سبع سنين ونصف فقط للوصول إلى كوكب بلوتو!! ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

دعونا نسافر خارج النظام الشمسي إلى أقرب نجم إلينا وهو نجم الفاقنطورس Alpha Centauri حيث يبعد حوالي ٤,٢٤ سنة ضوئية، ونلاحظ أننا استخدمنا السنة الضوئية كوحدة قياس بدلاً من الكيلومتر وذلك لصعوبة استخدام الوحدة التقليدية لقياس المسافات بين النجوم وذلك لبعد المسافات بيننا وبين النجوم ... وعلى سبيل المثال إذا أردنا أن نعبر عن المسافة بيننا وبين نجم الفاقنطورس بالكيلومتر فإن المسافة تعادل ٤٠١١٠٤٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ كم أي أكثر من ٤٠ تريليون كم (أي ٤٠ مليون مليون مليون كم!!!!) ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾.

ونجم ألفاقنطورس مغمور وغير مشهور وغير مرئي بالعين المجردة لأنه من القدر الحادي عشر ...

نجم الفاقنطورس كما يشاهد عبر التلسكوب

تربط الأرض بالسماء

لذا لنقيس المسافة بيننا وبين نجم لامع مشهور نجم الشعرى اليمانية Sirius ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾ حيث تصل المسافة بيننا وبينه إلى ٨,٦ سنة ضوئية ... بمعنى آخر نحتاج للسفر إلى هذا النجم بسرعة الضوء الفائقة ٨,٦ سنة لنصل إلى نجم قريب منا بعده بالكيلومتر ٨١٣٥٦٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ كم أي حوالي ٨١ تريليون كم ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ... جدلاً لو سافر الإنسان لهذا النجم بسرعة المكوك الفضائي لاحتاج إلى ١٠٢٤٣٢٥١٤١٠٢ سنة أي ١٠٢ بليون سنة لبلوغ الشعرى اليمانية !!!!! فأي مسافة هذه؟ وأي بعد هذا؟ وأي نظام يحيطنا؟ وأي سماء تظلنا؟ فسبحان ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ والله أكبر.

نجم الشعرى اليمانية ألمع نجم في السماء

لنترك نجم الشعرى اليمانية لأنه نجم قريب! وسنضرب مثلاً بعنقود الثريا المشهور Pleiades حيث يبعد عن الأرض ٤٤٠ سنة ضوئية ... والكل شاهد نجم الثريا معلقة بالسماء وزينة، ولكن ليس كلنا يدرك أن ما نشاهده من الضوء فيها عمره ٤٤٠ سنة أي شع قبل ٤٤٠ سنة وأستمر مسافراً بسرعة الضوء إلى الأفاق حتى وصل إلى أبصارنا ليقطع مسافة ٤١٦٢٤٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ كم أي ٤١٦٢ تريليون كم، فسبحان من له ﴿مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

عنقود الثريا

تحذير

أخي و أختي القارئة ... إذا شرقت وشككت بهذه الأرقام حول المسافات والأبعاد والأحجام للسماء الدنيا، وخالجتك الظنون أن ما سلف مبالغ فيه وربما مخالف للواقع ... ننصحك ألا تكمل قراءة المقال فحتماً لن يُسعفك عقلك وخيالك للتدبر في خلق الله القائل ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾

لنقفز وندع نجوم مجرتنا مجرة التبانة Milky way (وهي بالملايين أنظر الشكل) ونرى (من أقرب المجرات لنا وهي مجرة المرأة المسلسلة Andromeda Galaxy المجرة الوحيدة المشاهدة بالعين المجردة، وتبعد عن نظامنا الشمسي حوالي ٢,٥ مليون سنة ضوئية، بعبارة أخرى أنت تشاهد حدثاً في الماضي البعيد، حدث قبل ٢,٥ مليون سنة وسار بسرعة الضوء ليقطع مسافة قدرها ٢٣٦٥٠................ .... كم أي ٢٣ كدريليون كم (أي مليار مليون مليار كم).

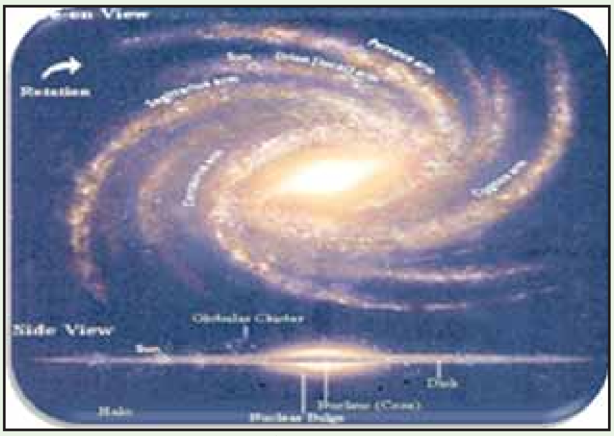

مجرة التبانة كما تخيلها العلماء بناءاً على معطيات رقمية راديوية.

وهذه المسافة التي يطيش العقل بها لا تمثل إلا جارة قريبة لمجرتنا فكيف إذا تحدثنا عن مجرات تبعد عنا بليون سنة ضوئية كما اكتشفها مرصد The Gemini South Telescope في شيلي حيث يستغرق الضوء مسافراً من تلك المجرة حتى يصل إلينا بليون سنة ليقطع مسافة ٩٤٦٠.................. .... كم أي ألف كدريليون كم (أي ألف مليار مليون مليار كم) سبحانه ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ...

بعجز العقل عن الإحاطة بالمسافات والأحجام

فلا إله إلا الله والله أكبر ... اللهم إني أُشهد كل من قرأ هذه السطور أني آمنت بالله رباً ... وبالإسلام ديناً ... وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً ونبياً ... وأن السموات السبع حق فاحشرني مع المؤمنين.

فسبحان من له ﴿مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فهذه الأبعاد الفلكية لا تمثل إلا جانباً من المسافات البينية بيننا وبين المجرات التي تعج بها السماء الدنيا حيث يقدر علماء الفلك عددها حوالي ١٠٠ بليون مجرة تسبح في بحر (السماء الدنيا) قال تعالى ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ هذه السماء الدنيا فكيف بالسماء الثانية وما فوقها، هذا جانب ومن جانب آخر السماء تنتفخ وتتسع منذ خلقت ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ .

ومزيداً في الإيضاح لمن ضاقت به الأرقام والأحجام والمسافات فعجز أن يتصورها وحتى أن يتخيلها ... لنفترض أن المسافة بين كوكب الأرض والقمر (٣٨١٧٠٦ كم) تعادل (جدلاً) المسافة بين عينيك اليمنى واليسرى (١٠ سم) فإن المسافة بيننا وبين الشمس ستصبح ٣٩م ، والمسافة بيننا وبين كوكب بلوتو ١,٥ كم، بينما بيننا وبين اقرب نجم إلينا ١٠٥٠٨١٩٢١٦٩ كم فما بالك بما هو أبعد من ذلك؟

الأمر أبعد من المسافات والسنوات

وعود على بدء قصة المعراج العجيبة بأي سرعة حدثت؟؟؟؟ ... تدبر معي الإعجاز الإلهي في ضوء ما سلف ... فلو كانت رحلة المعراج بأقصى سرعة عرفها البشر وهي سرعة الضوء لاستغرقت رحلة المعراج ٤٤٠ سنة لبلوغ نجم الثريا فقط ! ... فإن أرادوا زيارة مجرة المرأة المسلسلة لاستغرقت الرحلة ٢,٥

مليون سنة ليبلغوها!! ... فكيف إذا سافروا إلى أبعد ما يبصرون عبر التلسكوبات من مجرات بعيدة لاحتاج الأمر إلى بليون سنة!! ... فكيف إذا سافروا إلى ما لايبصرون! ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ ... والعلم والعلماء لا يعلمون حدود وأطراف السماء الدنيا فضلاً عن غيرها وبالتالي لا يعلمون عن بعد السماء الثانية كيف هو؟ ... فإذا وقف العلماء حائرين مما أبصروه في آفاقهم الدنيا فكيف الحال في ما لم يبصروه في السماء الثانية وما فوقها ... أي بُعد نتحدث عنه؟ وأي سنين يحتاجه الضوء ليصل إلينا وفي ذلك يقول الحق تبارك و تعالى ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾.

السؤال الكبير الذي يكمن فيه التفكر والتدبر والتأمل في خلق الله عزوجل بأي سرعة صلى الله عليه وسلم عُرج به؟ حتى تجاوز السماء الدنيا بأقمارها وكواكبها ونجومها ومجراتها وسدمها وما نعلم وما لانعلم من خلق الله فيها! بأي سرعة مذهلة معجزة اختصرت بلايين السنين في لاحظات كلمح البصر وإذا به صلى الله عليه وسلم عند أبيه آدم عليه السلام في السماء الدنيا! وبلمح البصر وإذا المصطفى في السماء الثانية عند أخيه عيسى ويحي عليهم السلام ... ولحظات ليقطع السماء الثانية إلى الثالثة عند أخيه يوسف عليه السلام! وهكذا حتى وصل إلى السماء السابعة عند أبيه إبراهيم عليهما السلام.

نستعظم ملكوت السماوات لنستعظم قدر الخالق العظيم

وصل الحبيب عليه الصلاة والسلام إلى نقطة كونية لم يبلغها بشر من قبله، وسار بسرعات وقطع مسافات لا تستوعبها العقول البشرية ولا حتى الآلية ... فلا يصلح معها وحدة قياس مسافة ولا سرعة والأمر كله بيد الله ... الله أكبر بأي سرعة عُرج بحبيبنا صلى الله عليه وسلم؟ ... فلا سرعة الضوء تجدي ولا سرعة تباعد المجرات عن بعضها يغني، ولكنها سرعة من يقول للشيء كن فيكون، إنها سرعة من يدبر الأمر في السموات والأرض، إنها سرعة تتوقف كل النواميس الطبيعية أمامها وتتلاشى كل المعادلات الرياضية حيالها! ... بأي سرعة عُرج بحبيبنا صلى الله عليه وسلم؟ ... إنها سرعة ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ ... ثم لما بلغ المصطفى صلى الله عليه وسلم السماء السابعة واطلع على البيت المعمور في السماء السابعة أُذن له أن يرقى ويصعد إلى مكان قُصر عليه وحده دون جبريل ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ ... خرج عن حدود ونطاق الكون الدنيوي المحكوم بنواميس دنيوية خرج إلى عالم آخر لم يطّلع عليه أحد من البشر قاطبة ... فإلى أين وصل؟ وإلى أي ارتفاع بلغ؟ وماذا حدث؟ تلك قصة قد خلت من قبلها قصص ولكن ليس لمثلها قصة معجزة...

---

* عضو هيئة التدريس بجامعة القصيم ـ السعودية. وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع:
www.quran-m.com

الإعجاز العلمي في سورة الطارق «النجم الثاقب»

العميد الركن المتقاعد الدكتور محمد فرشوخ*

بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿*الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١) يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (٢)*﴾ [سورة سبأ]. والصلاة والسلام على نبي الرحمة والعلم، جمع إشغال القلوب بالله إلى إعمال العقل بالعلوم والاجتهاد، ففتح للناس مجالات الفوز بالدنيا والآخرة، وبعد:

مقدمة: يقول الله تعالى في سورة الطارق:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿*وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (١٠) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (١٤) إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦) فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا (١٧)*﴾ *صدق الله العظيم*[1].

ما علاقة الماء الدافق بالطارق

بين يدي السورة: لهذه السورة وقع خاص في النفس، طرق وثقب ودفق ورجع وصدع، قال صاحب الظلال عنها: سورةٌ تمثل طرقات متوالية على الحس. طرقات عنيفة قوية عالية، وصيحات بنوّم غارقين في النوم ... تتوالى على حسّهم تلك الطرقات والصيحات بإيقاع واحد ونذير واحد. «اصحوا. تيقّظوا. انظروا.

تلفّتوا. تفكّروا. تدبّروا. إن هنالك إلها. وإن هنالك تدبيرا. وإن هنالك تقديرا. وإن هنالك ابتلاء. وإن هنالك تبعة. وإن هنالك حسابا وجزاء. وإن هنالك عذابا شديدا ونعيما كبيرا..»[٢].

من أغراض هذه السورة: إِثْبَاتُ إِحْصَاءِ الْأَعْمَالِ وَالْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ.

– وَإِثْبَاتُ إِمْكَانِ الْبَعْثِ بِنَقْضِ مَا أَحَالَهُ الْمُشْرِكُونَ بِبَيَانِ إِمْكَانِ إِعَادَةِ الْأَجْسَامِ.

– وَأُدْمِجَ فِي ذَلِكَ التَّذْكِيرُ بِدَقِيقِ صُنْعِ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ فِي خَلْقِ الْإِنْسَانِ.

– وَالتَّنْوِيهُ بِشَأْنِ الْقُرْآنِ.

– وَصِدْقُ مَا ذُكِرَ فِيهِ مِنَ الْبَعْثِ لِأَنَّ إِخْبَارَ الْقُرْآنِ بِهِ لَمَّا اسْتَبْعَدُوهُ وَمَوَّهُوا عَلَى النَّاسِ بِأَنَّ مَا فِيهِ غَيْرُ صِدْقٍ.

وَتَهْدِيدُ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ ناوؤا الْمُسْلِمِينَ.

– وَتَثْبِيتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَعْدُهُ بِأَنَّ اللَّهَ مُنْتَصِرٌ لَهُ غير بعيد[٣].

منطلق البحث: تدفع القراءة المتأنية لهذه السورة الكريمة إلى التساؤل: إنها تبدأ بقسَم والقسَم لا يكون إلا لأمر عظيم، فما هو؟ ثم ما علاقة النجم الطارق بكيفية توالد البشر؟ ثم إن في السورة ذكر لحفظ النفس البشرية أو لمراقبة أعمال ابن آدم، ولما عجزت عن إيجاد الرابط بين آيات السور، وأنا واثق من تناسبها، استناداً لقوله تعالى: ﴿*إنه لقول فصل وما هو بالهزل*﴾، إنطلق هذا البحث.

الحدث العظيم: في مكان آخر، وقبل عقدين من السنين، أثار حفيظة جمهرة من العلماء خبر اكتشاف الضربة التي تلقتها الأرض قبل ملايين السنين في خليج يوكاتان المكسيكي، واخترقت اليابسة إلى الطبقة العجينية وعن التداعيات التي تسببت بقتل الديناصورات وبتغير الحياة والمناخ على مجمل الكرة الأرضية.

وبمتابعة الأبحاث والاستكشافات منذ ذلك اليوم بدأ التساؤل: ما الذي ضرب الأرض؟ ومتى؟ وكيف؟ وماذا نجم عن هذه الضربة تحديداً؟ وبمتابعة هذه البحوث بتنا نتساءل: هل هو الطارق الذي تحدث عنه القرآن الكريم؟ وهل من دلائل على أنه النجم الثاقب؟ كان لا بد من مراجعة هذه الآيات الكريمة ومقارنتها بنتائج البحوث والاكتشافات ولكن بذهنية علمية، وبدون أفكار مسبقة.

وبعيداً عن التوليف وتدوير الزوايا كان لا بد من إجراء مقارنات بين ما ورد في الكتاب الكريم بآياته

الوجيزة وبين التفاصيل الكثيرة والمثيرة التي خرج بها العلماء مجتمعين ومجمعين.

بداية القصة[٤]: حين كان المهندسان غلين بنفيلد Glen Penfield وأنطونيو كامارغو Antonio Camargo ينقبان عن النفط في أواخر السبعينات، في شبه جزيرة يوكاتان التي تفصل بين خليج المكسيك والبحر الكاريبي، ولدى أخذهما عينات من الأعماق عند الساحل الشمالي لمدينة ميريدا المكسيكية، عثرا على حفرة ضخمة في البحر، مطمورة بطبقة من الأحجار الكلسية تبلغ سماكتها ١٣٠٠ متراً، سميت حفرة «تشيك شولوب» (Chicxulub)، نسبة لأقرب قرية إليها، وفيها شظايا من الكوارتز المصدوم، التكتيت، وشذوذ في الجاذبية في المنطقة. مما يؤشر إلى احتمال تعرض هذه المنطقة لضربة من جرم فضائي.

مراحل الأبحاث: كانت النتائج التي توصل إليها «غلين بنفيلد» ملفتة، لكنه لم يستطع جمع ما يكفي من الأدلة لإثبات نظريته إلى أن أجرى اتصالا مع ألان هيلدبراند Alan Hildebrand، الذي أكدت مكتشفاته وجود ما يلي: الكوارتز المسحوق (الذي تعجز المقذوفات البركانية عن شطبه بالسرعة والحرارة اللازمتين)، وتشوهات في طبقات الأرض، ومادة الإيريديوم[٥] بنسب عالية تزيد على النسب التي يفترض وجودها في الأرض بـ ١٣٠ ضعفاً، وهي مادة لا تتوفر في كوكب الأرض إلا بكميات قليلة لكنها تتوفر عادة بنسب عالية في النيازك والكويكبات التي ترتطم بسطح الأرض. وتأكد وجود زجاج التكتيت الذي ينجم عن برودة سريعة لمواد ملتهبة، وتستعمل للصناعات الفضائية وخاصة في تغليف المركبات الفضائية لعزل ما في داخلها عن الحرارة المرتفعة التي يسببها الاحتكاك بالغلاف الجوي عند العودة.

إيريديوم

تكتيت

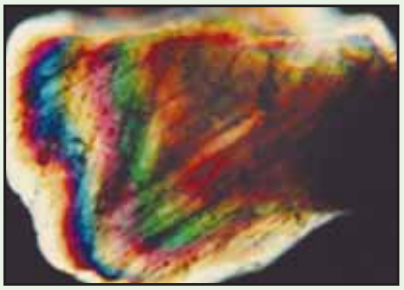
كوارتز مصعوق

فتبين للباحثين أن الحفرة ليست فوهة بركان بل هي أرض متقعرة نجمت عن ضربة هائلة لكتلة ضخمة هبطت من الفضاء. هكذا بدأت القصة وأخذت فصولها تظهر تباعاً.

في عام ١٩٨٠ ، نشر لويز ألفاريز Luis Alvarez وابنه والتر ، وفريقه العلمي، بحثاً يفيد بأن كويكبا قد أدى الى انقراض الديناصورات. وأن ضربة «تشيك شولوب» قد وقعت في الوقت ذاته تقريباً، مما أكسب نظريتهما قبولا علميا.

أحافير الديناصورات

طبقة ك/ت الجيولوجية

أخطر هذا الخبر عدداً كبيراً من العلماء في الولايات المتحدة وغيرها ولكنه أثار بصورة خاصة إهتمام علماء بريطانيين كانوا ينكبّون على أبحاث متنوعة محيّرة لتحديد سبب تصحر جنوب غربي الجزيرة الإنكليزية فأتاهم الجواب، وتتالت الأبحاث.

قامت وكالة الفضاء الأميركية «نازا» بتصوير الحفرة بالرادار الذي حمله مكوك الفضاء إنديفور في ١٤ نيسان /إبريل عام ١٩٩٤ ، وتأكدت المعلومات حول الضربة الآتية من الفضاء والتقعر الذي أحدثته من الناحية الجيولوجية من حيث التربة والماء والنبات. وسلّمت هذه المعلومات إلى مراكز الأبحاث والجامعات الأميركية المتخصصة.

أدى هذا الاكتشاف إلى أبحاث مستفيضة في عدة مجالات علمية متنوعة، تبين من خلالها أن كوكب الأرض محمي بغلاف جوي خفف عنه الكثير من الضربات الفضائية مصداقاً لقوله تعالى: ﴿*والسماء ذات الرجع*﴾ **(إستنتاج رقم١)**، وأنه الأقل تعرضاً من بقية الكواكب الأخرى لسقوط الكويكبات والنيازك، قال تعالى: ﴿*وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا*﴾ [سورة الأنبياء: ٣٢]

وبعد أبحاث وبيانات معمقة وتحليلات مستفيضة استغرقت ٢٠ عاماً، قام بها علماء في مختلف المجالات كعلم الحفريات والكيمياء الجيولوجية والمناخ والجيوفيزياء والترسبات، و٤١ خبيرا دوليا من ٣٣ مؤسسة مشاركة، أجمع هؤلاء على الاستنتاجات التالية التي نشرتها المجلة الأكاديمية للعلوم يوم الجمعة في ٥ آذار/مارس سنة ٢٠١٠[٦]:

نتائج الأبحاث: تبين أن تقعّر حفرة «تشك شيلوب» في خليج «يوكاتان» المكسيكي، ناجم عن ضربة خطيرة جداً، صدمت الأرض، نفذها نيزك مشتعل وصلت منه إلى سطح الأرض كتلة قطرها ١٠ كلم يقدر وزنها بـ ٢ تريليون طن، أحدثت انفجاراً بقوة[٧] تبلغ مليار ضعف قنبلة هيروشيما[٨]، وتزيد على أقوى تفجير نووي نفذ في العالم بمليوني [٩] مرة، وأقوى من أقوى ثورة بركانية

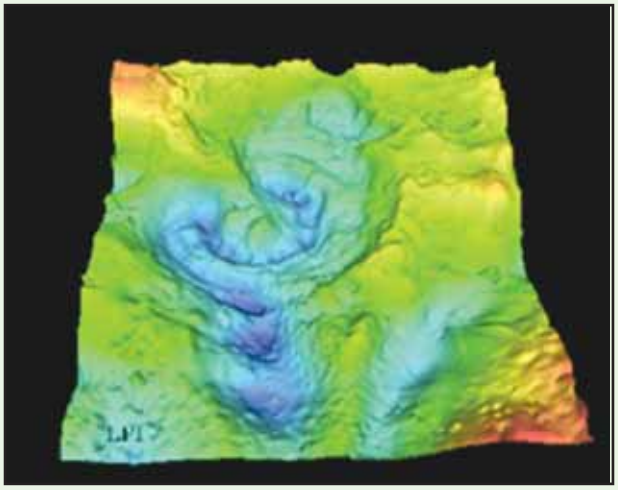

صور وكالة الفضاء الأميركية «نازا» لموقع الضربة

عرفها تاريخ الأرض. إنه إذاً أمر جلل جدير بالقسَم (**إستنتاج رقم٢**). قال الإمام الزمخشري: أراد الله، عزّ من قائل، أن يقسم بالنجم الثاقب تعظيما له، لما عرف فيه من عجيب القدرة ولطيف الحكمة[١٠].

أقسم المولى العظيم بأمر عظيم

وفي تفسير ابن عثيمين: (إن الله سبحانه وتعالى له أن يقسم بما شاء من خلقه، وإقسامه بما يقسم به من خلقه يدل على عظمة الله عز وجل، لأن عِظم المخلوق يدل على عِظم الخالق)[١١].

وبمقدار ما كان هذا الطارق المرعب يقترب من الأرض كانت سرعته تتضاعف بفعل جاذبية الأرض حتى بلغت سرعته ٦٠-٧٠ ألف كلم بالساعة. فاجتاز المحيط الأطلسي من جنوبه إلى المكسيك في ٤ دقائق، إلى أن ضرب الأرض بسرعة تزيد على أسرع قذيفة معروفة في العالم بعشرين ضعفاً، محدثاً حفرة دائرية قطرها ١٨٠ كلم محاطة بصدع يصل قطره إلى ٣٠٠ كلم، وقد ظهرت بعض آثاره على السواحل الغربية للقارة الأوروبية، وتزداد هذه الآثار كلما اقتربت من الحفرة التي بلغ عمقها أكثر من ١٠ آلاف متراً.

﴿***الطَّارِقِ***﴾: لو طرق السماء وبقي فيها لما سمي بالطارق: (سمي النجم طارقاً لاختصاصه بالليل وكل قاصد في الليل طارق وأصل الطرق الدق ومنه المطرقة وقاصد الليل طارق لاحتياجه في وصوله إلى الدق)[١٢]. إنه إذاً متعد على نطاق غيره حتى يسمى «طارق»، لم ينتقل من فضاء إلى فضاء بل غريب طرق الأرض (**إستنتاج رقم ٣**)، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿***أعوذ بك من طوارق الليل والنهار إلّا طارقا يطرق بخير يا رحمن***﴾[١٣]. وهو الطارق جاء معرفاً بـ«أل» التعريف لتفرده ولم يأت نكرة ككل «شهاب» ورد في الكتاب الكريم[١٤] لكثرة سقوط الشهب على الأرض(**إستنتاج رقم ٤**). فـ«الطارق» هو الوحيد الذي طرق الأرض بهذا

العنف وبهذا التأثير الكوني الخطير. وهو بلا شك قادم من الفضاء الخارجي، ويذكرنا بقول هند بنت عتبة يوم أحد: (نحن بنات طارق. نمشى على النمارق)، أي أبونا كالنجم شرفاً وعلوا[١٥].

الأرض ذات الصدع: قدّر الباحثون أن هذا الجرم لو سقط في المحيط لجاءت آثاره مخففة، لكنه أصاب المياه الضحلة على الشاطيء المكسيكي، وبحسابات اختراق الغلاف الجوي، قدر العلماء أن الجرم قد هوى بزاوية ٣٠ درجة مع سطح الأرض، وبذلك لم تنل الأرض سوى ١٪ فقط من عزم الضربة، ومع ذلك فقد أحدثت زلازل خطيرة على كامل الكرة الأرضية، قدرت قوة بعضها بـ١١,١ على مقياس ريختر، أي أقوى من أي زلزال معروف بـ٦٠ مرة، وأغرقت بعض أجزاء القارّة الأميركية في البحر، وتحركت على الأثر أمواج عاتية (ميغا تسونامي)، زاد ارتفاعها على ألف متر، إجتاحت مساحات واسعة من القارّة، أهلكت كثيراً من المخلوقات، وحولت الغابات إلى ركام. من هنا نفهم علاقة ظاهرة الطَرق بمفاعيل الصدع، ومعنى قسم الله تعالى في السورة: ﴿ *والأرض ذات الصدع* ﴾ **(إستنتاج رقم ٥)**.

النجم: قدر ثلاثة من العلماء أن قطر الجرم المذكور قبل اقترابه من الأرض كان يبلغ ١٧٠ كلم قبل أن تتفتت أجزاء منه بفعل الاحتكاك، وأرجعوه إلى فصيلة من النيازك تدعى carbonaceous chondrites[١٦]، وهي غنية بمادة الكربون القابلة للاشتعال، وما أن دخل الغلاف الجوي للأرض حتى اشتعل بسبب الاحتكاك وتحوّل إلى كرة نارية وهاجة، قدرت حرارتها بـ٣٥ ألف درجة مئوية، وها قد أصبح الكوكب مشتعلاً، إذا إنه نجم، أو على الأقل كالنجم **(إستنتاج رقم٦)**.

إشتعل فصار وهجه أقوى من الشمس

ولّد هذا الاشتعال إشعاعاً ثاقباً أصاب بالعمى كل الكائنات الحية التي شاهدته، ولأخذ فكرة عن قوة الوهج يمكن تصور أشعته وهي تخرق جلود الديناصورات ولحومها حتى يظهر من الخارج شكل هياكلها العظمية، ولو قدر لبشر أن يرى ذلك عن بعد لرأى شمساً ملاصقة للأرض من على بعد ٤٠٠٠ كلم. إنه نجم وهاج جداً لم تعرف الأرض له مثيلاً ؟ فهو ثاقب بالمعنيين: قال مجاهد: الثاقب: الذي يتوهج[١٧]، والعرب تقول للنجم ثقب إذا أضاء، وثقبت النار، كذلك، وثقبت الرائحة إذا سطعت، ويقال للموقد اثقب نارك، أي أضئها. كما تبين أنها ثقبت الغلاف الجوي للأرض ووصلت إلى سطحها وطرقته طرقاً فظيعاً، قال الثعلبي في تفسيره: النَّجْمُ الثَّاقِبُ أي المضيء المنير، يقول العرب: أثقب نارك أي أضئها. وقال عطا: الثاقب الذي يرمى به الشياطين فيثقبهم، وقَالَ السُّدِّيُّ: يَثْقُبُ الشَّيَاطِينَ إِذَا أُرْسِلَ عَلَيْهَا[١٨]، إنه إذاً ثاقب (**إستنتاج رقم٧**).

بلغت حرارة منطقة الضربة ما يعادل حرارة عشرة شموس وقت الظهيرة، وقدرت حرارة الغبار والحطام المتطاير بحوالي ١٥ ألف درجة مئوية، وقدرت الحرارة على بعد ٨٠٠ كلم من مكان الضربة بـ٦٠٠ درجة مئوية امتصت في ثوانٍ الماء الموجود في الأشجار وفي أجسام الكائنات الحية على الفور.

وخلال الدقائق الخمس الأولى التي أعقبت الانفجار، تعرضت مساحات واسعة من القارة الأميركية لثلاث موجات متتالية: موجة العصف والموجة المرتدة وموجة من الغبار الحراري، لتتعاون على إبادة الكائنات الحية والنباتية.

قدر العلماء والباحثون أن النيزك قد انفجر وتفتت وتبخر فور ارتطامه بالأرض مولداً كرة نارية هائلة. واقتلع معه كمية من تربة الأرض تقدر بـ ٧٠ بليون طناً تبخرت في الهواء خلال عُشْر الثانية الأولى، ومع موجة العصف الأولى طار وارتفع في الهواء كل ما اصطدم به أو تحطم منه، خارقاً جدار الصوت وبسرعة ١٠٠ ألف ميل في الساعة ليسقط حامياً أو مشتعلاً (**كحجارة من سجيل؟ هل قضى المولى الجبار على جيش أبرهة بهذه الطريقة البسيطة؟ بحطام نيزك صغير نزل بالجمرات كالمطر؟**)[١٩]، (**إستنتاج رقم ٨**).

كأنها حجارة من سجيل

ومن شدة الانفجار قدر العلماء أن حوالي ١٢٪ من الحطام المتناثر خرج من الغلاف الجوي للأرض((بارتفاع ٣٥ كلم)، ليعود ويسقط على مدى أربعة أيام مشتعلاً وبقوة الصواريخ وقذائف المدفعية، فيزيد من مفاعيل قتل الكائنات الحية وحرائق الغابات على كامل سطح الكرة الأرضية[٢٠]. وكانت وجهة الحرائق غرباً بسبب دوران الكرة الأرضية باتجاه الشرق. وقد عثر على حفر أصغر في أوكرانيا وفي بحر الشمال تعود للفترة الزمنية ذاتها. إذ من الطبيعي أن تنفصل بعض أقسام النيزك عنه أثناء اختراقه الغلاف الجوي للأرض.

الإبادة: وفي غضون ٤٤ دقيقة قدر الباحثون ارتفاع درجة الحرارة في منغوليا حيث الطرف المقابل من الكرة الأرضية إلى حوالي ٣٠٠ درجة مئوية، مصحوبة بعاصفة رملية خانقة بسرعة ١٠ آلاف ميل في الساعة، قضت على أنواع الحياة فيها، وحيث عثر على أحافير ديناصورات تعود للفترة الزمنية ذاتها.

أدت هذه الحرارة الشديدة إلى تبخر كميات ضخمة من الماء ممزوجة بحامض الكبريت، الذي خرج مع التربة ليولد مطراً ساماً، وبغاز الكربون المتشظي من النيزك وكميات لا تحصى من الغبار والأتربة مما حجب أشعة الشمس لحوالي عشر سنوات وزاد في تسريع عمليات إبادة الكائنات الحية. وأدى انتشار ثاني أوكسيد الكربون إلى التسبب بما صار يدعى في عصرنا بظاهرة الاحتباس الحراري. فتدنت درجة حرارة الأرض وتأخر النبات في استعادة نموه لسنوات طويلة.

وبسبب التفاوت السريع بدرجات الحرارة والغيوم المشبعة بالغبار الحار، وبفعل الكهرباء الساكنة (Electro- static) تولدت صواعق كهربائية ضربت سطح الأرض في مختلف أصقاعها، مخلفة حرائق وركام، والمزيد من عمليات الإبادة.

أما الحيوانات التي تمكنت من النجاة من كل هذه الأهوال المتتالية فقد نفقت بعد ذلك جراء شرب المياه السامة أو بسبب عدم توفر الغذاء، ما أدى إلى إبادة ما بين ٧٥ إلى ٩٠٪ من الكائنات الحية والنباتات من على سطح الأرض وسمائها ومياهها.

﴿***إن كل نفس لّما عليها حافظ***﴾: ومهما يكن من أمر فإن هذا الحدث الكوني الهائل لم يكن في تاريخ الأرض حدثاً عادياً، بل كان محطة ضرورية تمهيدية للقضاء على حياة قاسية ومتوحشة، عرفت حيوانات ضخمة في الحجم والوزن، بعضها يطير وبعضها نباتي وبعضها من أكلة اللحوم، بلغ وزن الحيوان الواحد من بعض أنواعها ٣٠ طناً ووصل إلى ٧٠ طناً في نوع آخر، كان الواحد منها يستهلك ألف كلغ من النبات يومياً، وكانت

المعارك الدامية خلالها تطيح بأعداد كثيرة من الشجر والحيوان، وما كان فيها مجال لبقاء الجنس البشري على قيد الحياة أكثر من بضعة أيام أو عدة ساعات قبل أن يقضى عليه.

الآن يتبادر إلى الفهم معنى جديد لآية: ﴿ ***إن كل نفس لّما عليها حافظ*** ﴾. فقد جاء هذا النجم ليهلك كل من يشكل خطراً على آدم وبنيه ويحافظ عليهم. فنرى عناية الله بهم وتمهيده لعمّار الأرض من قبل أن يخلقهم. وقد أتى المفسرون بمعنيين في تفسير آية ﴿ ***إن كل نفس لما عليها حافظ*** ﴾، ذكرهما الثعالبي في تفسيره: قال: (ما كلُّ نفسٍ إلا عليها حافظٌ، ومعنى الآيةِ فيما قال قتادة وغيره: إنَّ على كل نفسٍ مكلَّفَةٍ حافظاً يُحْصي أعمالَها ويُعِدُّهَا للجزاءِ عليها، وقال أبو أمامة: قال النبي صلّى الله عليه وسلّم في تفسير هذه الآية: «إنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ حَفَظَةً مِنَ اللَّهِ يَذُبُّونَ عَنْهَا كَمَا يُذَبُّ عَنْ قَصْعَةِ العَسَلِ الذُّبَابُ، وَلَوْ وُكِلَ المَرْءُ إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين»[٢١]. وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ ***لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ*** ﴾ [الرعد: ١١] (**إستنتاج رقم٩**). وحفظ الله قائم في كلتي الحالتين: حفَظَة لإحصاء أعمال الخلق ومحاسبتهم عليها من جهة وحفَظَة من جهة أخرى للأرض ومن عليها، وللنوع البشري وتناسله من كل طارق آخر يأتي من السماء أو من الأرض حتى يأتي أمر الله (**إستنتاج رقم١٠**).

﴿ ***والسماء ذات الرجع*** ﴾: ويتبين أن هذه الآية تحتمل معنيين: الغلاف الجوي[٢٢] الذي يحفظ الأرض من أخطار كثيرة كالاشعاعات والنيازك، والسماء المفتوحة التي تتيح تكرار عملية الطرق فتفسح المجال، وبأمر مالك الملك، لدخول جرم كوني آخر إلى حرم الأرض (**تتمة الإستنتاج رقم ١**)، ومن الإعجاز أيضا وصف الغلاف الجوي (بالسقف المحفوظ)[٢٣].

تناسب المعاني: يبقى الجواب على تناسب المعاني بين الآيات في هذه السورة: إنه وجه الشبه في آلية طرق النجم لسطح الأرض وبين طرق الحيوان المنوي للذكر على بويضة الأنثى(**إستنتاج رقم١١**).

وجه الشبه بين الطارق والحيوان المنوي

وهذا التناسب ليس مقتصراً على سورة الطارق دون سواها من السور، بل هو أسلوب معروف في القرآن الكريم، ومنه التناسب بالمعنى بين نزول القرآن إلى الأرض ونزول الحديد فيها مثلاً، بحيث جمعهما المولى تعالى في آية واحدة بقوله:

﴿ ***لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ*** ﴾ [الحديد: ٢٥].

هل «الطارق» هو الخطب الجلل الذي حدث في خليج المكسيك ؟

ليس من صاحب عقل أو علم إلا ويحترم جهود السنوات العشرين التي أمضاها هذا الفريق الضخم من العلماء في الكشف عن هذا الحدث الكوني العظيم. وعلى الرغم من استجماع كل هذه الأدلة لا يحق لنا الجزم بأن النجم الذي ضرب الأرض في خليج المكسيك هو المقصود حتماً في سورة الطارق بلا منازع. ولكننا لا نجد دليلاً واحداً باهراً ينفي هذا التوقع. وما الذي يمنع ابن آدم من التفكر والبحث والتقصي والله تعالى أمره بذلك فقال:

قل سيروا في الأرض فانظروا.. وقال ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك... وقال فلينظر الانسان مم خلق... ومثلها في القرآن كثير، آيات تدفع نحو إعمال العقل وتحض على السؤال والاستفهام، فقد (جاء القرآن بهذا السؤال عنه: «**وَما أَدْراكَ مَا الطَّارِقُ**» ؟ حتى ينبّه إليه، ويبعث على التطلع إلى معرفته.. ثم بينه الله سبحانه وتعالى بقوله: «**النَّجْمُ الثَّاقِبُ**» فهذا هو الطارق.. إنه النجم الثاقب!)[٢٤].

بين هذا الطارق وبين النيازك العادية:

إذا كان العالم في شهر شباط/ فبراير ٢٠١٣ يحبس أنفاسه بينما كانت وكالة النازا تترصد الكويكب (2012DA 14)، قطره ٤٥ متراً، الذي مرّ بسلام بمحاذاة الأرض وعلى بعد ٢٧ ألف متراً ، وإذا هرع الناس إلى شاشات التلفزة يوم الجمعة في ١٥ شباط/ فبراير ٢٠١٣، ليتابعوا الرعب الذي دب في روسيا على أثر انفجار نيزك أصغر، قبل وصوله إلى الأرض، لا يزيد قطره على بضعة أمتار، ووزنه نحو عشرة أطنان، اخترق الغلاف الجوي بسرعة ٢٠ كيلومتراً في الثانية وانفجر على بعد نحو عشرة آلاف متر من الأرض، فأدى بحسب بيان وزارة الطوارئ الروسية إلى تضرر ٣٧٢٤ مبنىً سكنياً، بالإضافة إلى أكثر من ٦٧٠ منشأة صناعية وتعليمية وثقافية وترفيهية مختلفة. وقدرت مساحة الزجاج المحطم بحوالي ٢٠٠ ألف متر مربع. وبلغ عدد الجرحى الذين أصيبوا نتيجة الحجارة النيزكية التي سقطت على ٣ مناطق روسية وكازاخستانية أمس، ١١٤٢ شخصاً. وأن الأضرار المادية جراء هذا الحدث قد تتجاوز ٣٣ مليون دولار. فكيف تكون القدرة التدميرية المرعبة لنيزك كالنيزك المذكور الذي استهدف خليج المكسيك بقطر ١٠ آلاف متر وليس بقطر ٤٥ متراً؟!

خبر جهله الأولون وهو لعصرنا إعجاز:

جاء في روح البيان: (وهو يبدأ بذكر السماء والطارق ويثني بالاستفهام المعهود في التعبير القرآني: «**وَما أَدْراكَ مَا الطَّارِقُ**؟» .. وكأنه أمر وراء الإدراك والعلم في الزمان الأول يستعصي على المسلمين الأوائل فهمه واستيعابه. (**استنتاج رقم ١٢**). ثم يحدده ويبينه بشكله وصورته: «**النَّجْمُ الثَّاقِبُ**»)[٢٥].

وقال سعيد بن جبير: سألت ابن عباس- رضي الله عنهم- عن قوله: وَالسَّماء وَالطَّارِقِ فقال: وَما أَدْراكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ وسكَت فقلت له: مالك؟ فقال: واللهَ ما أعلم منها، إلا ما أعلم ربي[٢٦]. وجزى الله عنا سلفنا الصالح فقد سلّموا تسليما.

وهو لعصرنا إعجاز: ما حصل في خليج يوكاتان في المكسيك حدث كوني مريع ظاهره إبادة وحقيقته حفظ للحياة. قال تعالى: هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا... وقال ولقد كرمنا بني آدم، وقال: وسخر لكم الشمس والقمر دائبين..وقال: ألم نجعل الأرض مهادا؟

قال الله تعالى: سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم... وقال ولتعلمن نبأه بعد حين... وقال: لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون.

محاولة تفسير علمي معاصر للسورة: يقسم الله العظيم بحدث كوني عظيم: كتلة نارية ضخمة ومتوهجة طرقت الأرض خارقة غلافها الجوي، زلزلت الأرض وصدعتها وأحرقت اليابسة وأغرقتها، حجبت الشمس لسنوات، فرضت الظلمة والصقيع، وأفشت السموم في الماء والهواء، فأبادت أجناس الحيوان الخطرة والنبات، ومهدت لأنواع ألطف من المخلوقات. طرقت الأرض بالطريقة ذاتها التي يخلق فيها الانسان، ليتفكر الانسان بأن المسبب واحد، مهّد له الحياة، وحفظ عليه نوعه، كما يحفظ عليه عمله، فسيأتي يوم يرجع فيه إليه، ويحاسبه عليه، ويقسم العظيم بخلق عظيم أن هذا الكلام حق لا هزل فيه، وأن الذين كادوا هم المكيدون. وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. وصدق الله العظيم والحمد لله رب العالمين.

---

* عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة الآداب والعلوم والتكنولوجيا بلبنان. رئيس منتدى الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في لبنان. ورئيس تحرير مجلة «الإعجاز» التي تصدر في لبنان.

(١) ألقي هذا البحث على شكل محاضرة في مسجد صالح بن لاحج بدبي وفي المركز الإسلامي- عائشة بكار في ٢٢/ ٤/ ٢٠١٣ .

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن (٦/ ٣٨٧٧)

(٣) التحرير والتنوير (١٨/ ٢٧).

(٤) أول من عاين الحفرة كان المتعهد «روبرت بالتوسر Robert Baltosser» في الستينيات، لكن شركة Pemex الراعية التي كانت تنقب في المنطقة منذ العام ١٩٥١، منعته من نشر أبحاثه وأبقتها سريّة وفقاً لقوانين تلك الفترة.

(٥) **Iridium** is the chemical element with atomic number 77، and is represented by the symbol Ir. A very hard، brittle، silvery-white transition metal of the platinum family، iridium is the second-densest element (after osmium) and is the most corrosion-resistant metal، even at temperatures as high as 2000 °C. Although only certain molten salts and halogens are corrosive to solid iridium، finely divided iridium dust is much more reactive and can be flammable.

(٦) Science 5 March 2010: Vol. 327no. 5970pp. 1214 -1218DOI:10.1126/science.1177265

(٧) ١٠٠ مليون ميغاطن.

(٨) قوة إنفجار هيروشيما ٠,٠٤ ميغاطن.

(٩) تفجير Tsar ٥٠ ميغاطن .

(١٠) تفسير الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٧٣٤)

(١١) تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ١٤٦)

(١٢) تفسير العز بن عبد السلام: (٣/ ٤٣٩)

(١٣) رواه الطبراني عن أبي مالك الأشعري.

(١٤) قوله تعالى ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ [الحجر: ١٨] وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١٠].

(١٥) تفسير ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٤٦٤)

(١٦) Bottke، W. F.، D. Vokrouhlický، and D. Nesvorný. 2007. An asteroid breakup 60 million years ago as the probable source of the K-T impactor. Nature 449، 48-53.

(١٧) تفسير مجاهد: (ص: ٧٢٠)

(١٨) تفسير ابن كثير: ط العلمية (٨/ ٣٦٨)

(١٩) استنتاج أقرب إلى العلم والمنطق مما افترضه بعض علماء القرن السابق بان أبرهة وجنوده ربما أصيبوا بمرض الجدري.

(٢٠) September 2002 issue of the Journal of Geophysical Research—Planets: Chicxulub crater were first modeled in 1990 by planetary scientist Jay Melosh at the University of Arizona and colleagues. The model was developed by David Kring، a planetary scientist at the University of Arizona in Tucson with Daniel Durda at the Southwest Research Institute in Boulder، Colorado.

(٢١) تفسير الثعالبي: الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٥/ ٥٧٤)

(٢٢) الغلاف الجوي: كل ما علاك فهو سماء.

(٢٣) الشيخ الدكتور عبد الله المصلح، قواعد تناول الإعجاز العلمي والطبي في السنة وضوابطه (ص: ٣٥).

(٢٤) التفسير القرآني للقرآن (١٦/ ١٥٢١)

(٢٥) روح البيان (١٠/ ٣٩٦).

(٢٦) تفسير السمرقندي: بحر العلوم (٣/ ٥٦٨).

خير خلق الله

الإعجاز الرقمي عند النبي ﷺ

بقلم أ.ع.

موعدنا اليوم مع بعض الأرقام التي أتى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على ذكرها في بعض أحاديثه الشريفة، وقد تبينت صحتها بعد قرون طويلة:

أولاً- عدد المفاصل في جسم ابن آدم:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فِي الْإِنْسَانِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ مَفْصَلًا، فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَصَدَّقَ عَنْ كُلِّ مَفْصَلٍ مِنْهُ صَدَقَةً» قَالَ: وَمَنْ يُطِيقُ ذَلِكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: «النُّخَامَةُ فِي الْمَسْجِدِ تَدْفِنُهَا أَوِ الشَّيْءُ تُنَحِّيهِ عَنِ الطَّرِيقِ، فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ فَرَكْعَتَا الضُّحَى تُجْزِئُكَ»[1].

وفي رواية ابن عباس: «فِي ابْنِ آدَمَ سِتُّونَ وَثَلَاثُمِائَةِ سُلَامَى - أَوْ عَظْمٍ، أَوْ مَفْصِلٍ - عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ...»[2].

وأطباء العظام والمفاصل يعلمون اليوم علم اليقين أن عدد مفاصل الجسم بين مختلف عظامه يبلغ بالتحديد ٣٦٠ مفصلاً دون زيادة أو نقصان. فمن أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بهذا العدد الدقيق قبل أربعة عشر قرناً وفي زمن كان معظم الطب فيه تخمينا؟

ثانيا- تساوي المسافة من مكة المكرمة إلى بصرى الشام ومن مكة إلى منطقة هجر على شاطئ الخليج:

جاء في الحديث الشريف: «والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى»[3].

وكان لا بد من الانتظار قروناً حتى يأتي عصر الطيران والأقمار الصناعية ليكشف المسح الجوي أن المسافتين فعلاً متساويتان، (١٢٧٣ كلم)، على الرغم من اختلاف الاتجاهات وتعرج الطرقات واختلاف التضاريس بين المنطقتين. وفي عصر النبي صلى الله عليه وسلم كان الوصول إلى شاطيء الخليج يستغرق وقتاً أقل من الوقت اللازم لبلوغ بصرى الشام. فبأي آلة تمكن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مقارنة هاتين الرحلتين؟

ثالثا-تحديده الدقيق لقبلة أهل صنعاء باليمن، في زمن لم تتوفر فيه أجهزة القياس والتوجيه:

قبل ألف وأربع مائة عام، حدد الرسول صلى الله عليه وسلم، اتجاه قبلة أهل صنعاء بخط مستقيم من البستان الذي صار مسجدا إلى جبل ضين، الكائن على بضع عشرات من الكيلومترات شمالاً وصولاً إلى الكعبة الشريفة التي تبعد حوالي ٨٠٠ كلم عن صنعاء، فبدأ بتحديد موضع المسجد ومكانه بقوله: « فمر ببناء المسجد لهم في بستان باذان من الصخرة التي في أصل غمدان»، وفيما كتبه عليه الصلاة والسلام لوبر بن يحنس بأن (يبني حائط باذان مسجدا ويجعله من الصخرة إلى موضع جدره)، وحدد عليه الصلاة والسلام زاوية ميل مسجد صنعاء من جبل ضين، والكعبة بقوله ص (فأجعله عن يمين جبل يقال له ضين). محدداً الاتجاه الدقيق للكعبة باستعمال معلم واضح لأهل صنعاء (القديمة) وهو جبل ضين.

وجاءت الطائرات، والأقمار الصناعية بعد قرون طويلة لتصور الأرض بدقة متناهية فقدمت لنا صورة حقيقية للأماكن الثلاثة التي بيّنها رسول الله صلى

الله عليه وسلم: مسجد صنعاء، جبل ضين، والكعبة الشريفة، فإذا بها تقع على خط مستقيم، رغم بعد المسافة، وكرويّة الأرض، وعدم توفّر الشروط والوسائل العلمية زمن النبي صلى الله عليه وسلم .

كل ذلك تم بعبارة سهلة، وعلامة واضحة جليه وقولٌ حاذقٌ دقيق، مع أنه عليه الصلاة والسلام لم يزر اليمن، ولا رأى جبل ضين، ولا شاهد بستان باذان.

وفي الخلاصة، إذا كان ثمة من لا يصدق الأرقام التي وردت في القرآن الكريم أو في الحديث الشريف، بشأن اليوم الآخر كعدد أبواب الجنة أو أبواب النار أو حول أحجام البشر بعد البعث، أو مساحات الجنان التي أعدت للمتقين، ومع أن المؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر، موقن بأن كتاب الله حق وأن ما يقوله رسول الله حق، وأنه بشهادة الله عزّ وجلّ لا ينطق عن الهوى، وما كان له أن يبالغ وما ينبغي له ذلك، فها هي أرقام معروفة في الدنيا ما كان لبشر قبل ١٤٠٠ سنة أن يقيسها أو يحصيها. يقول الله تعالى: ﴿*إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ*﴾ [سورة ق: ٣٧].

---

(١) عن أبي بريدة في صحيح ابن خزيمة (٢/ ٢٢٩) ، قال الأعظمي: إسناده صحيح. والبيهقي في شعب الإيمان بلفظ آخر عن أبي هريرة.

(٢) في الأدب المفرد عن عباس مرفوعاً، صححه الألباني.

(٣) اخرجه مسلم عن أبي هريرة في حديث الشفاعة.

بريد القراء*

خلق حواء من ضلع آدم وسر تشابه الزوجين مع مرور الوقت

بينت نتائج البحوث التي أجراها علماء من جامعة ييل الأميركية، أنه في حال استمرار الشجار بين الزوجين خلال حياتهما الزوجية المشتركة فإن التشابه بينهما يكون ضعيفًا، وعلى العكس إذا كانت العلاقة بين الزوجين حميمة ودافئة، فان نسبة التشابه بينهما تزداد مع مرور الوقت.

وقد أوضح العلماء هذا ببساطة، السبب في ذلك يعود إلى أن الزوجين المتحابين يقلدان أحدهما الآخر من دون قصد، وهذا يشمل التصرفات والحركات والنشاط الفيزيائي وكذلك الامتناع عن العادات السيئة، فمثلا إذا ترك أحدهم التدخين فسيتبعه الثاني بعد مضي بعض الوقت.

وبحسب الباحثين، فإن الناس يسعون منذ القدم السعي لاختيار شبيه بهم ولو من حيث المظهر، فإذا كانت الحياة الزوجية سعيدة فسيصبحان متشابهين أكثر.

ويقول علماء النفس أن معرفة مدى سعادة الزوجين ممكنة من خلال مظهرهما الخارجي، وخاصة إذا عاشا سوية ٢٠ سنة وأكثر. فمن الملاحظ أنه مع مرور الزمن يصبح الزوجان متشابهين أكثر فأكثر، عمليًا يرتبط كل شيء بمدى السلام والوئام في حياتهما الزوجية. (انتهى)

قال تعالى: ﴿*وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ*﴾ [الروم: ٢١] ، وقال في سورة التكوير: ﴿*وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ* (٧)﴾ .

---

* نقلاً عن «روسيا اليوم» (بتصرف) ٢٠١٣/٩/٢٣.

النباتات تفكر وتعقل

المهندس الدكتور عبد الدائم كحيل*

مقدمة:

نجد في القرآن الكريم آيات كثيرة تتحدث عن ظواهر غريبة مثل كلام النمل، وسجود الشجر، وغير ذلك مما أثبته العلم حديثاً. فطالما اتخذ الملحدون هذه الآيات وسيلة للتشكيك في صدق هذا القرآن ومصدره الإلهي، وطالما ردَّدوا حججاً لا أصل لها تزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم هو من ألَّف القرآن، بل أخذه من كتاب الأقدمين، ومزجه بخرافات عصره، وطالما قرأنا مقالات عن «مصادر القرآن» التي يدعون فيها أن القرآن هو نتاج أساطير وقصص موجودة في التوراة والإنجيل...

ولكن الله تعالى لن يترك كتابه عرضة للتشكيك من دون أن يهيء الوسائل المناسبة لاكتشاف معجزات جديدة تبرهن على صدق هذا الكتاب، وصدق رسالة الإسلام. وبالفعل فإننا في كل يوم نكتشف حقيقة علمية جديدة تتفق مئة بالمئة مع ما جاء في القرآن قبل أربعة عشر قرناً. واليوم نعيش مع حقيقة علمية تؤكد أن النباتات لها مشاعر وأحاسيس ولها دماغ تستطيع التفكير فيه، ونضيف بأن النباتات لديها القدرة على تسبيح خالقها والسجود له!!

النباتات ليست كائنات غبية

وذكاؤها يكمن في جذورها

وجد العلماء في تركيبة جذر نبات الذرة ما يمكن وصفه بـ «الدماغ» بعد أن سادت طويلاً فكرة أن النبات كائن «غبي»، بدأ العلماء مؤخراً في اكتشاف نوع من مراكز التحكم داخل الجذور، يعمل بطريقة مشابهة للجهاز العصبي الحيواني وينقل البيانات عبر إشارات كهربائية تتحرك بين الجذور والسيقان والأوراق. حتى وقت قريب، كان العلماء يستبعدون تماماً احتمالية امتلاك النباتات لجهاز عصبي أو نوع من «الدماغ»، لكن يبدو أن نتائج الأبحاث الجديدة قد تغير تلك الفكرة التي سادت طويلاً. فمنذ العصر الإغريقي، سادت الفكرة القائلة إن «النباتات غبية، فهي كائنات أولية، وتعد مرحلة بين الجماد والحيوان».

ومازالت تلك الفكرة تؤثر على رأي الكثيرين في عصرنا الحالي، وتؤثر حتى على بعض العلماء، وإن كانت تغيرت جزئياً منذ مئتي عام، عندما اكتشف علماء الأحياء أن للنباتات حياة جنسية. وفوجئ العلماء مجدداً عندما اكتشفوا منذ عشرات السنوات أن للنباتات أيضاً جهاز مناعة، يحميها ويمكّنها من مقاومة الأمراض، ليتأكدوا بذلك أن النباتات في الواقع كائنات حية تمتلك الكثير من القدرات. وبالرغم من ذلك، فمازالت تعبيرات مثل «الجهاز العصبي للنباتات» تثير جدلاً واسعاً في أوساط العلماء والباحثين حتى يومنا هذا.

اكتشاف ما يمكن وصفه بالدماغ النباتي

تمكنت مجموعة من الباحثين من جامعتي بون وفلورنسا من اكتشاف ما يمكن وصفه بالدماغ النباتي في تركيبة جذر نبات الذرة، حيث يؤكد الباحث فرانتيسك بالوسكا من جامعة بون أنهم تمكنوا من اكتشاف أنشطة كهربائية في جذور النبات، كما وجدوا أن التركيبة البيولوجية للخلايا شبيهة بتركيبة الدماغ الحيواني. لكنه أشار إلى أن تلك الأبحاث مازالت في بدايتها، ما يجعله من المبكر الحديث عن «دماغ نباتي»، وأضاف أنهم يطلقون الآن على ما اكتشفوه لدى النباتات اسم: «مركز التحكم».

لقد حدد هذا الباحث المنطقة المسئولة في جذر

النبات عن معالجة المعلومات ونقلها. وهي شبيهة بالمشابك الكيميائية، أي نقاط الاتصال المتخصصة بنقل الإشارات العصبية. والخيوط الرفيعة التي تكوّن الهيكل الخلوي للنبات، تسمح بنقل الحويصلات الصغيرة بسرعة فائقة، الأمر الذي يشابه تماماً طريقة نقل الإشارات العصبية لدى الحيوان. إن أي نبات لا يمكنه العيش من دون جذور، فالجذور بالنسبة للنبات مثل الرأس بالنسبة للإنسان.

القرارات تتخذ في الجذور وتنقل إلى الأوراق

يعطي مركز التحكم في «الجذور» الأوامر للنبات ليعرف في أي اتجاه عليه أن ينمو، ويضيف بالوسكا إن معالجة البيانات التي يتم نقلها داخل جذور النبات تؤثر بشكل مباشر على سلوك أطراف الجذور، فالجذور تسجل مثلاً وجود مادة سامة في المحيط القريب، وهو ما يعني أن على النبات أن يتفاداها. ويتم تخزين تلك المعلومات في أطراف الجذور، ويتم نقلها بسرعة لمناطق النمو، ليعرف النبات بذلك في أي اتجاه عليه أن ينمو.

وهذه الطريقة التي تنقل بها النباتات المعلومات والتي تبني على أساسها ردود أفعالها تتشابه تماماً مع طريقة عمل الدماغ في عالم الحيوان، حسبما يؤكد عالم النباتات ديتر فولكمان من جامعة بون، مشيراً إلى أن بحث بالوسكا وزميله مانكوسو يساعد على اكتشاف العلاقة بين التركيب الخلوي للنبات- الذي يشبه تركيبة الجهاز العصبي الحيواني - والإشارات الكهربائية. وهو ما يمكن اعتباره جهاز

يملك النبات جهازاً عصبياً

نشاط كهربائي في جذور النباتات

عصبي نباتي، يقوم بنفس الدور الذي يقوم به الجهاز العصبي لدى الحيوان، لكنه مختلف البناء.

يدرك العلماء تماماً أن النباتات تعتمد على الإشارات الكهربائية للتفاعل مع العالم الخارجي. وهو ما يسمح للنباتات باتخاذ ردود فعل تجاه «الأعداء»، مثل الحشرات الضارة المختلفة. النباتات لا يمكنها الهروب، فهي لا تمتلك عضلات ولا أرجل. لكنها وُجّهت بشكل يجعلها تفعل شيئاً ما ضد المعتدين عليها. وهي تعتمد في ذلك على قدرتها على أن تنتج مواد لا يستسيغها الكائن المعتدي، أو سموم تقضي عليه».

وقد تمكن فيله من قياس هذه الإشارات الكهربائية التي ترسلها النباتات، من ورقة إلى ورقة، وتوصل إلى أن رد الفعل «السريع» لدى النباتات لا يقارن بردود الفعل الحيوانية. ففي ثانية واحدة، لا يمكن للنبات نقل المعلومات بأكثر من سنتيمتر واحد، أي أنها أبطأ بنحو عشرة آلاف مرة من رد الفعل الحيواني. وبالتالي فما توصل له العلماء حتى الآن يعني أن النبات ليس كائناً غبياً، لكنه ببساطة يحيا في مقياس زمني مختلف تماماً.

إذا كانت شجرة نظنها لا تعقل، لديها كل هذه الوسائل للتفكير ومعرفة الخطر و«ابتكار» وسائل للدفاع عن نفسها واتخاذ القرار المناسب لحماية أغصانها وأوراقها، ما الذي يمنع أن يكون لدى هذه الشجرة طريقة خاصة بها لتسبيح خالقها والسجود له؟

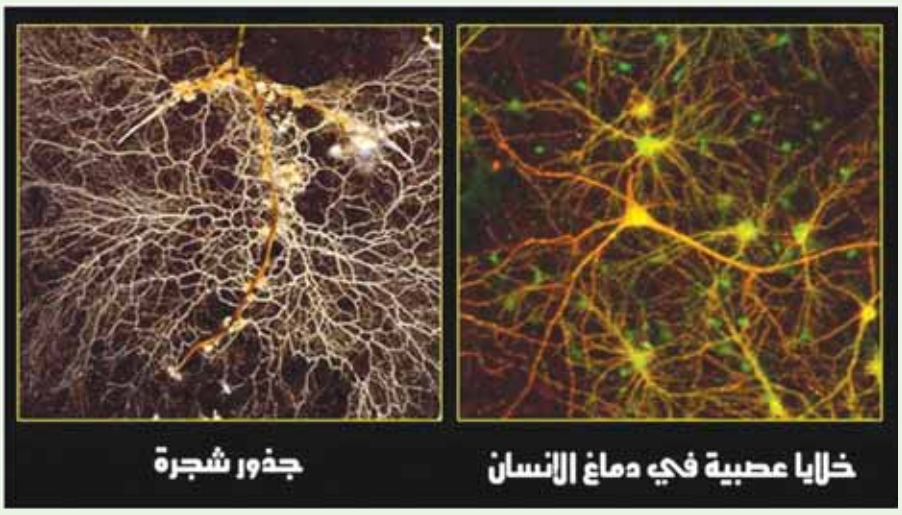

مقطع في خلايا عصبية لدماغ الإنسان، وبجانبه صورة لجذور شجرة، انظروا التشابه الكبير بينهما من حيث التفرعات وتشابك الفروع، وكلاهما يصدر إشارات كهربائية، فالدماغ يصدر إشارات كهربائية لأعضاء الجسد فيعطي أوامره، وكذلك الجذر يصدر إشارات كهربائية على شكل أوامر تنتقل بين أجزاء الشجرة، إن هذا التشابه يشهد على أن الصانع واحد: (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ) [النمل: ٨٨]. ونقول سبحان الله!!

مركز القيادة في الجذر يستشعر الأخطار ويعالجها

فما دامت الشجرة تصدر إشارات كهربائية تنتقل بين أوراقها وأغصانها، وما دامت كل خلية من خلايا هذه الشجرة تصدر ترددات صوتية غير مسموعة، فقد تكون هذه الإشارات والترددات لو استطعنا ترجمتها، نوع من أنواع التسبيح للخالق تبارك وتعالى؟! يقول تعالى: ﴿*أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ*﴾ [الحج: ١٨]. هذه الآية تشير إلى سجود للشجر والشمس والنجوم والقمر...

ولو تطور العلم فسوف يكتشفون أن الشمس لها «دماغ» أيضاً، وكذلك الجبال، وقد يستغرب القارئ الكريم من هذا الطرح، ونقول: إن العلماء لم يكتشفوا إلا القليل جداً من حقائق وأسرار الكون، والعمليات المنظمة التي تتم في الشمس لا يمكن أن تكون عبثاً أو أنها عمليات عشوائية. لابد من وجود شيء في داخل الشمس ينظم هذه العمليات المعقدة...

... وربما نستطيع أن نفهم قوله تعالى: ﴿*تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا*﴾ [الإسراء: ٤٤]. فهذه المخلوقات التي نظنها غير عاقلة، لديها عقل وتفكير ولديها القدرة على اتخاذ القرار، ولكن ليس لديها القدرة على التمرد والمعصية، على عكس كثير من البشر، يجحدون نعمة الله ويكفرون به، وعلى الرغم من ذلك يرزقهم ويعطيهم، ولو رجعوا إليه لوجدوه غفوراً رحيماً.. فهل هناك أعظم وأوسع من رحمة الله تعالى؟!

الجذر هو الذي يحدد للأغصان اتجاهات النمو

الباحث AnthonyTrewavas العالم في جامعة Edinburgh وعضو الأكاديمية الملكية البريطانية، يؤكد أن النباتات أكثر من مجرد غطاء جميل يغلف أرضنا، إنها تتواصل

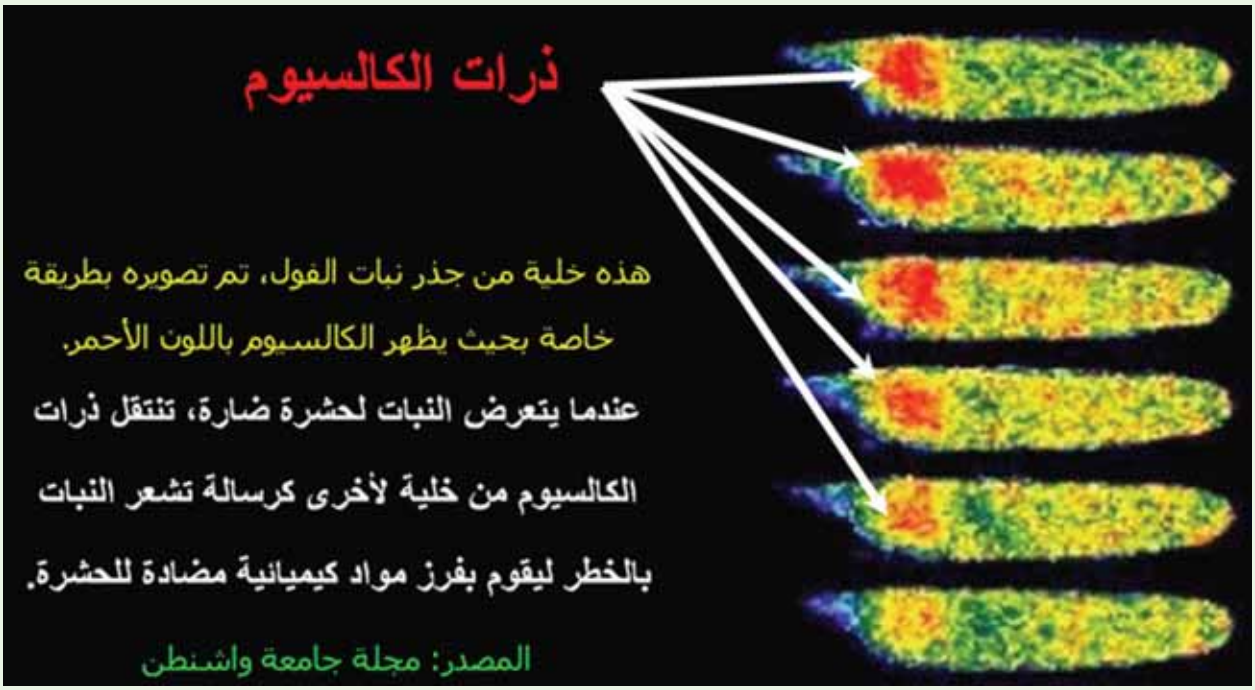

مع بعضها، وتتذكر وتخطط وتتخذ القرارات: إنها كائنات ذكية! ولكن الذي يميز النبات أن له أكثر من دماغ، أي ليس له دماغ واحد مثل الإنسان، إنما أدمغة متعددة متوضعة في الجذور.

وقد قرأت بحثاً يؤكد فيه العلماء أن الكون عبارة عن كمبيوتر عملاق!! فالنجوم التي نظنها لا تعقل تحوي في كل ذرة من ذراتها برنامجاً يوجهها ويهديها لما يجب عليها القيام به! فهذه الذرة يجب أن تقترب من ذرة أخرى وفق نظام مبرمج مسبقاً، وهكذا حتى تتشكل جزيئات محددة، وهذه الجزيئات سوف تشكل جزيئات أكبر من الغبار مثلاً... وبالنتيجة يجب أن يتشكل النجم... ثم يتطور هذا النجم فينفجر ثم يتشكل الثقب الأسود مثلاً... وهكذا وفق عمليات مبرمجة مسبقاً، ويتساءل العلماء بل ويندهشون: من الذي وضع هذا البرنامج الذي لا يخطئ؟

ونقول إن الله تعالى هو الذي خلق هذه المخلوقات وأعطاها شكلها ثم وضع فيها المعلومات اللازمة لهدايتها وتوجيهها، يقول تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠].

لا شك في أن الرسائل الكهربائية قد تتضمن عبادة

وندعو كل ملحد لأن يتأمل هذه الآية العظيمة وهذه الدعوة من الخالق تبارك وتعالى وهو أغنى الأغنياء عن عباده الضعفاء، ندعوه لأن يرجع إلى خالقه ورازقه ... إنه الله تعالى يخاطب كل بعيد عن ذكره فيقول: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٤].

---

* وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع:
www. kaheel7.com

المراجع:

1. www.dw-world.de
2. The New Language of Science. Hans Christian von Baeyer. Harvard University Press، 2004.
3. Computational Capacity of the Universe. Seth Lloyd in Physical Review Letters، Vol. 88، No. 23، article 237901Z: June 10، 2002.
4. From Computation to Black Holes and Space-Time Foam. Y. Jack Ng in Physical Review Letters، Vol. 86، No. 14، pages 2949-2946: April 2، 2001.
5. http://wsm.wsu.edu/stories/2006/May/NoShrinkingViolet.html

إلى الأحبة القراء:

يسرّ مجلة «الإعجاز» تلقّي كل البحوث والمقالات الهادفة الى تنوير المجتمع وتثقيفه بصرف النظر عن هوية الكاتب، ومعتقده، وطائفته، وإنتمائه. ولا شرط لها إلا أن يتقيد بأصول البحث العلمي، والبعد عن التحريض، والنقد الهدام، وعن السياسة، وأن يكون هاجسه بعث الأمل في نفوس الناس لتخطي آثار الحرب وبناء المجتمع المتسامح.

الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في السمع والبصر والفؤاد

أ.د. صادق الهلالي*

قال الله تعالى: ﴿ ... *إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً* ﴾ (الإسراء:٣٦). ذكرت كلمة (السمع ومشتقاتها وتصاريفها في القرآن الكريم ١٨٥ مرة بينما وردت فيه كلمة (البصر) ومشتقاتها وتصاريفها ١٤٨ مرة وحيثما وردت كلمة السمع في القرآن الكريم عنت دائماً سماع الكلام والأصوات وإدراك ما تنقله من معلومات، بينما لم تعن كلمة البصر رؤية الضوء والأجسام والصور بالعينين إلا في ٨٨ حالة فقط، إذ إنها دلت في باقي المرات على التبصر العقلي والفكري بظواهر الكون والحياة أو بما يتلقاه المرء ويسمعه من آيات وأقوال. وقد ترافقت كلمتا (السمع) و (البصر) كمثل قوله تعالى: ﴿ *وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ* ﴾ (المؤمنون ٧٨)، في ٣٨ آية كريمة، منها أيضاً: ﴿ *قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون* ﴾ (الملك: ٢٣)، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ *إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاجٍ نبتليه فجعلناه سميعا بصيراً* ﴾ (الإنسان: ٢).

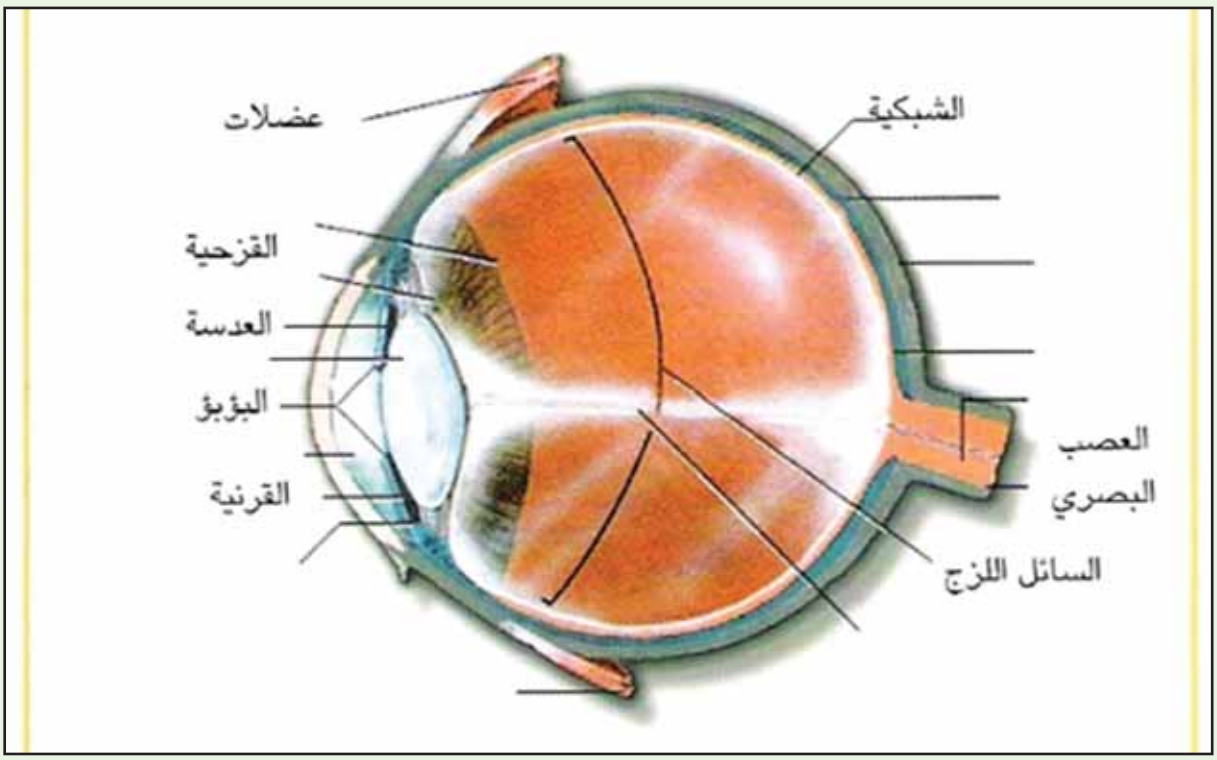

ويلاحظ في مثل هذه الآيات أن كلمة السمع قد سبقت البصر وبلا استثناء، فلا بد وأن نتساءل هل لهذا السبق من دلالة خاصة؟ قد تبدو الإجابة عن هذا السؤال وللوهلة الأولى وعلى ضوء المعلومات الأولية التي نعرفها عن هذين الحسين صعبة وعسيرة الفهم، فمن المعلوم فيزيولوجيًا وتشريحياً أنه (...) لا يرد إلى الجسم من مجموعة المعلومات الحسية عن طريق الجهاز السمعي أكثر من ١٢٪ بينما يرد إلى الجسم عن طريق الجهاز البصري حوالي ٧٠٪ من مجموع المعلومات الحسية. إذاً لماذا هذا التقدم لحس السمع وإيراده قبل حس البصر في كل الآيات تقريباً؟ فلا بد وأن هناك سبباً لم نعرفه بعد. ولكننا لو تبصرنا في الحقائق العلمية التي عرفت حديثاً في علوم الأجنة والتشريح والفيزيولوجيا والطب لتمكّنا من إيجاد الأجوبة ولاتضح لنا الإعجاز العلمي في هذه الآيات الكريمة(...).

فالأذن الداخلية تكون قد نمت ونضجت لتصل إلى حجمها الطبيعي عند البالغين وأصبحت جاهزة للقيام بوظيفة السمع المخصصة لها في الشهر الخامس من عمر الجنين. وكما سنرى أن هذا القسم من الأذن يتمكن منفرداً من التحسس للأصوات ونقل إشاراتها إلى الدماغ لإدراكها دون أية ضرورة لمساهمة الأذنين الوسطى والخارجية (....).

أما العين فلا يتم تكامل طبقتها الشبكية الحساسة للضوء إلا بعد الأسبوع الخامس والعشرين ولا تتغطى ألياف العصب البصري بالطبقة النخاعية لتتمكن من نقل الإشارات العصبية البصرية بكفاءة إلا بعد أسابيع من ولادة الجنين. (...)

لا يكتمل البصر إلا بعد الولادة بعدة أشهر

الأذن الداخلية جاهزة لسمع الجنين في الشهر الخامس

فالأذن الداخلية للجنين تنضج وتصبح قادرة على السمع في الشهر الخامس، بينما لا تفتح العين ولا تتطور طبقتها الحساسة للضوء إلا في الشهر السابع وحتى عند ذاك لن يكون العصب البصري مكتملاً لينقل الإشارات العصبية الضوئية بكفاءة، ولن تبصر العين لأنها غارقة في ظلمات ثلاث.

السمع والبصر:

ثبت علمياً أن الأذن الداخلية للجنين تتحسس للأصوات في الشهر الخامس، ويسمع الجنين أصوات حركات أمعاء أمه وقلبها، وتتولد نتيجة هذا السمع إشارات عصبية سمعية في الأذن الداخلية، والعصب السمعي والمنطقة السمعية في المخ، يمكن تسجيلها بآلات التسجيل المختبرية، وهذا برهان علمي يثبت سماع الجنين للأصوات في هذه المرحلة المبكرة من عمره. ولم تسجل مثل هذه الإشارات العصبية في الجهاز البصري للجنين إلا بعد ولادته.

كما أن من المهم أن نعرف أن الأصوات تصل الأذن الداخلية عن طريقين:

الطريق الأول: هو طريق الأذن الخارجية ثم الوسطى والمملوءتان بالهواء في الإنسان الطبيعي.

الطريق الثاني: هو طريق عظام الجمجمة.

فالاهتزازات الصوتية تنتقل بالطريقة الأولى بواسطة الهواء، وتنتقل بالطريقة الثانية بواسطة عظام الجمجمة وهي ناقلة جيدة للأصوات، ولكن الأذن الخارجية للجنين مملوءة ببعض الألياف وبسائل السلى، ولكن السوائل هي الأخرى ناقلة جيدة للأصوات فعند غمر رؤوسنا بالماء

عند السباحة نتمكن من سماع الأصوات جيداً. من ذلك يتضح أن الجنين يمكنه أن يسمع الأصوات التي قد تصل إلى أذنه الداخلية إما عن طريق الجمجمة أو عن طريق الأذن الخارجية المملوءة بسائل السلي والأنسجة، من الناحية الأخرى لا يتمكن الجنين من أن يبصر خلال حياته الجنينية، لا لظلام يحيطه فقط بل لانسداد أجفانه، وعدم نضوج شبكية عينية، وعدم اكتمال العصب البصري حتى وقت متأخر من حياته الجنينية.

اكتمال حاستي السمع والبصر:

يمكن للجنين أن يسمع الأصوات بالطريقة الطبيعية بعد بضعة أيام من ولادته بعد أن تمتص كل السوائل وفضلات الأنسجة المتبقية في أذنه الوسطى والمحيطة بعظيماتها ثم يصبح السمع حاداً بعد أيام قلائل من ولادة الطفل.

الانسان هو المخلوق الوحيد الذي يسمع وهو في بطن أمه

ومن الملاحظ أن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يبدأ بسماع الأصوات وهو في رحم أمه، فجميع الحيوانات لا تبدأ بسماع الأصوات إلا بعد ولادتها بفترة، فالإنسان يسمع الأصوات قبل ولادته بأكثر من ١٦ أسبوعاً. والأرنب يسمعها بعد ولادته بـ ٧ أيام. والكلب يسمعها بعد ولادته بـ ١٠ أيام.

أما حاسة البصر فهي ضعيفة جداً عند الولادة وتكاد أن تكون معدومة، ويصعب على الوليد تمييز الضوء من الظلام، ولا يرى إلا صوراً مشوشة للمرئيات، وتتحرك عيناه دون أن يتمكن من تركيز بصره وتثبيته على الجسم المنظور، ولكنه يبدأ في الشهر الثالث أو الرابع تمييز شكل أمه أو قنينه حليبه وتتبع حركاتهما، وعند الشهر السادس يتمكن من تفريق وجوه الأشخاص، إلا أن الوليد في هذا السن يكون بعيد البصر، ثم يستمر بصره على النمو والتطور حتى السنة العاشرة من عمره.

تطور المناطق السمعية والبصرية المخية:

لقد ثبت أن المنطقة السمعية المخية تتطور وتتكامل وظائفها قبل مثيلتها البصرية وقد أمكن تسجيل إشارات عصبية سمعية من المنطقة السمعية لقشرة المخ عند تنبيه الجنين بمنبه صوتي في بداية الشهر الجنيني الخامس، وتحفز الأصوات التي يسمعها الجنين خلال النصف الثاني من حياته الجنينية هذه المنطقة السمعية لتنمو وتتطور وتتكامل عضوياً ووظائفياً، ومن الناحية الأخرى لا تتنبه المنطقة البصرية للمخ في هذه الفترة بأية منبهات ولذلك فهي لا تتطور كثيراً ولا تنضج ولا تتكامل، فمن المعلوم فيزيولوجيًا أن المنبهات النوعية التي ترد عن أي طريق عصبي حسي تحفزه على النمو والنضوج وبهذه الطريقة يحفز الجهاز العصبي على النضوج منذ الشهر الخامس الجنيني ولا يحفز الجهاز البصري بمثل ذلك إلا بعد ولادته.

ولهذه الأسباب يتعلم الطفل المعلومات الصوتية في أوائل حياته قبل تعلمه المعلومات البصرية (ومن هنا تأتي سنة اسماع المولود الآذان والإقامة عند ولادته لتكون من أوائل المعلومات التي يسجلها دماغه والله اعلم)، ويتعلمها ويحفظها أسرع بكثير من تعلمه المعلومات المرئية، فهو مثلاً يفهم الكلام الذي يسمعه ويدركه ويعيه أكثر من فهمه للرسوم والصور والكتابات التي يراها، ويحفظ الأغاني والأناشيد بسرعة ويتمكن من تعلم النطق في وقت مبكر جداً بالنسبة لتعلمه القراءة والكتابة، وكل ذلك لأن مناطق دماغه السمعية نضجت قبل

مناطقه البصرية قال تعالى: (لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية) (الحاقة: ١٢).

تطور منطقة التفسير اللغوي في قشرة المخ:

تنمو وتتطور منطقة التفسير اللغوي (gel) في قشرة المخ والتي تقع بالقرب من منطقة حس السمع وترتبط معها ارتباطاً أقرب وأوثق من ارتباطها مع منطقة حس البصر (التي هي الأخرى تساهم في وظيفة الكلام والإدراك اللغوي عن طريق القراءة والكتابة). إن هذا التقارب بين هاتين المنطقتين ناتج عن حقيقة تطور منطقة حس السمع ووظائفه في وقت مبكر وقبل نضوج منطقة ووظائف حس البصر.

يتضح لنا من كل ما تقدم أن:

أ) جهاز السمع يتطور جنينياً قبل جهاز البصر ويتكامل وينضج حتى يصل حجمه في الشهر الخامس من حياة الجنين الحجم الطبيعي له عند البالغين بينما لا يتكامل نضوج العينين إلا عند السنة العاشرة من العمر.

ب) يبدأ الجنين بسماع الأصوات في رحم أمه وهو في الشهر الخامس من حياته الجنينية ولكنه لا يبصر النور والصور إلا بعد ولادته.

ج) تتطور وتنضج كل المناطق والطرق السمعية العصبية قبل تطورها ونضوج مثيلاتها البصرية بفترة طويلة نسبياً.

وهنا لا بد أن نعود إلى الآيات الكريمة، الثماني والثلاثين، التي ذكرناها في مقدمة المقال حيث

منطقة التفسير اللغوي في المخ أقرب إلى منطقة السمع

لماذا سبق السمع البصر في آيات القرآن؟

تشير كل هذه الآيات إلى خلق ونشأة الإنسان وتقدم فيها كلها دون استثناء ذكر السمع على البصر. هذه لم تكن صدفة عابرة من غير قصد ولكنها إعجاز رباني لم نهتد إلى معرفته إلا مؤخراً بعد سبر غور الحقائق العلمية الحديثة التي تثبت الإعجاز العلمي في هذه الآيات الكريمات.

بل إن الحديث النبوي قد تضافر مع آيات القرآن الكريم في تقديم السمع، وكيف لا وهما من مشكاة واحدة، يقول الرسول، عليه الصلاة والسلام: (إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها... الحديث).

ثم دعونا ننظر إلى الآيات الكريمة الأخرى التي ترافقت فيها كلمتا (السمع) و(البصر) في قوله تعالى:

﴿*لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً*﴾ مريم: ٤٢

﴿*ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون*﴾ هود: ٢٠

﴿*إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً*﴾ الإسراء: ٣٦

﴿*قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم*﴾ الأنعام: ٤٦

﴿*وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم*﴾ فصلت: ٢٢

﴿*لو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم*﴾ البقرة: ٢٠

﴿*وحتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعلمون*﴾ فصلت ٢٠

في هذه الآيات يشير

القرآن الكريم إلى وظيفتي السمع والبصر، ولأن الوظيفة الأولى تطورت ونضجت قبل الثانية ولأن السمع أهم في التعلم والتعليم وأعمق رسوخاً في ذاكرة الطفل فقد قدمها. جل وعلا. وتبين الحقائق العلمية السالفة الإعجاز العلمي في هذه الآيات الكريمة.

الساحة السمعية والبصرية:

يتمكن الإنسان من سماع الأصوات التي تصل إلى أذنيه من كل الاتجاهات والارتفاعات فيمكننا القول: إن الساحة السمعية هي ٣٦٠، بينما لو ثبت الإنسان رأسه في موضع واحد فلن يتمكن من رؤية الأجسام إلا في ساحة بصرية محدودة تقارب الـ ١٨٠ في المستوى الأفقي و ١٤٥ في الاتجاه العمودي أما ساحة إبصاره للألوان فهي أقل من ذلك كثيراً، كما أن أشعة الضوء تسير بخط مستقيم دائماً فإذا اعترضها جسم غير شفاف فلن تتمكن من عبوره أو المرور حوله ولكن الموجات الصوتية تسير في كل الاتجاهات ويمكنها أن تلف حول الزوايا وعبر الأجسام التي تصادفها فهي تنتقل عبر السوائل والأجسام بسهولة فيسمعها الإنسان حتى عبر الجدران.

حفظ القرآن الكريم بالسمع أسرع من البصر

تأثير إصابة الدماغ على السمع والبصر:

من المهم ملاحظة أن حس السمع لكل أذن يتمثل في جهتي المخ فإذا أصيب أحد نصفي الدماغ بمرض ما فلن يفقد المصاب السمع في أي من أذنيه، أما في حالة البصر فيتمثل كل نصف من نصفي العين الواحدة على جهة المخ المعاكسة لها فإذا ما أصيب الدماغ بمرض في أحد نصفيه فقد المصاب البصر في نصفي عينيه المعاكسين لجهة الإصابة.

من المعلوم أن المولود الذي يولد فاقداً لحس السمع يصبح أبكماً بالإضافة إلى صممه ولن يتمكن من تعلم النطق والكلام أما الذي يولد فاقدا لحس البصر فإنه يتمكن من تعلم النطق وبسهولة وهذا. على ما يظهر. ترافق لفظ *(الصم)* مع *(البكم)* والله أعلم.

﴿*صم بكم عمي فهم لا يرجعون*﴾ البقرة: ١٨

وكذلك: ﴿*صم بكم عمي فهم لا يعقلون*﴾ البقرة ١٧١.

عند فقدان حس البصر تقوم المنطقة البصرية المخية بوظائف ارتباطية فترتبط وظيفياً مع المناطق الارتباطية الدماغية الأخرى فتزيد من قابلية الدماغ على حفظ المعلومات والذاكرة والذكاء، ولا تقوم المناطق السمعية. لسبب غير معروف. بمثل هذا الارتباط عند فقدان حس السمع، ولذلك فقد نبغ الكثيرون ممن فقدوا حس البصر، ولم ينبغ أحد ممن فقد حس السمع إلا نادراً مما يدل على أهمية حس السمع والمبالغة في تخصص مناطقه المخية.

لا بد هنا من الإشارة إلى المحيط الأولي والمجتمع الذي نزل فيه القرآن الكريم إذ إنه تميز بطبيعة سمعية أكثر منها بصرية فليس هناك في الصحاري منبهات بصرية بقدر ما فيها من منبهات سمعية، كما كان مجتمع ذلك العصر مجتمعاً سمعياً أكثر منه بصريًا فالآيات القرآنية الكريمة كانت تسمع وتحفظ في الصدور وتتناقل عن طريق الرواة وبالرغم من أن كتاب الوحي كانوا يدونونها إلا أن القرآن الكريم لم يعمم على الأمصار إلا في زمن الخليفة الثالث.

لم يسبق البصر السمع إلا في آيات العقاب

وبقية الأحاديث النبوية الشريفة غير مدونة لوقت متأخر، ولعل السبب في ذلك يعود إلى قلة من كانوا يجيدون القراءة والكتابة إذ قيل إن عددهم في مكة عند أول ظهور الإسلام لم يتجاوز بضعة أفراد، كما أن العرب لم يدونوا شعرهم الغزير حتى وقت متأخر ولكنه كان يحفظ وترويه الرواة ويلقى على الناس في الأسواق والمناسبات فيستمع الكل إليه.

وقد خص الله ـ سبحانه وتعالى ـ حس السمع وجهازه ولم يذكر البصر عندما أراد تخصيص أهمية حواس بعض عباده فقال سبحانه وتعالى:

﴿ *وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي ءاذانهم وقرا* ﴾ الأنعام: ٢٥

﴿ *يجعلون أصابعهم في ءاذانهم من الصواعق حذر الموت* ﴾ البقرة: ١٩

﴿ *فضربنا على ءاذانهم في الكهف سنين عددا* ﴾ الكهف:١١

﴿ *جعلوا أصابعهم في ءاذانهم واستغشوا ثيابهم* ﴾ نوح: ٧

﴿ *لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية* ﴾ الحاقة: ١٢

تؤكد الآية الكريمة الأخيرة على أن الإحساسات الصوتية التي يسمعها الإنسان بأذنيه تصل مستوى الوعي أحسنٍ من تلك التي تصله عن غير طريقهما كالبصر مثلاً.

الآيات القليلة التي ورد فيها ذكر (البصر) قبل كلمة (السمع) هي تلك الآيات التي تنذر بالعقاب أو تصف الكافرين، وليس في أي منها إشارة لتخلق هذين الحسين أو لوصف وظيفتها أو تطورهما.

﴿ *ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم ءاذان لا يسمعون بها* ﴾ الأعراف ١٧٩

﴿ *وحسبوا ألا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم* ﴾ المائدة: ٧١

﴿ *ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما* ﴾ الإسراء: ٩٧

﴿ *أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم ءاذان يسمعون بها* ﴾ الأعراف: ١٩٥

أما عن كثرة المعلومات البصرية التي ترد الجسم بالنسبة للمعلومات السمعية القليلة نسبياً التي تصل إليه فلا بد من أن نعرف أن كثرة المعلومات لا تعني دائماً أنها تولد إدراكاً ومفاهيم أكثر وأعمق في دماغ الإنسان مما تولده المعلومات السمعية على قلتها، فالذاكرة السمعية أرسخ من الذاكرة البصرية، والرموز الصوتية تعطي مدلولات ومفاهيم أكثر من الرموز الضوئية، فمن المعلوم مثلاً أن نطق الكلمة الواحدة بلهجات ونغمات متباينة تنقل للسامع مفاهيم مختلفة، ولو كتبنا الكلمة نفسها بمختلف الصور الخطية لنقلت دائماً لقارئها مفهوماً واحداً لا غير، ومن المعلوم جيداً أن الأفلام الصامتة لا توصل من المعلومات إلا جزءاً يسيراً مما يمكن أن تنقله الأفلام الناطقة. هذه الحقائق العلمية لم تكن معروفة قبل أربعة عشر قرناً، ولم يعرف الكثير منها إلا في العقود الأخيرة من هذا القرن حتى إن من العلماء من كانوا كشفوا الكثير من الحقائق الناصعة التي تبين بكل وضوح وجلاء الإعجاز العلمي في الآيات البينات التي قدمت (السمع) على (البصر) لأسبقيته في الخلق والتطور العضوية والوظيفية، وللمميزات الكثيرة لحس السمع على حس البصر. وصدق الله العظيم القائل: ﴿ *سنريهم ءاياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق* ﴾ فصلت: ٥٣

---

* للراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع:
www.eajaz.org

« الجبال بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي في القرآن الكريم »

أ.د. زغلول راغب النجار*

مقدمة:

في مجال الإعجاز العلمي لا يجوز لنا أن نوظف إلا الحقائق المؤكدة، أو القضايا القطعية التي قطع فيها العلم بصورة مؤكدة، لأننا نقصد بالإعجاز أن نثبت للناس، مسلمين أو غير مسلمين، على حد سواء، أن القرآن الذي نزل قبل ١٤٠٠ سنة على نبي أمي صلى الله عليه وسلم في أمة أمية، قد احتوى على كثير من الحقائق... ومن هذه الحقائق ما اكتشفه العلم الحديث عن الجبال وتبيّن أنه ذكر من قبل في هذا الكتاب الكريم بدقة علمية متناهية.

الجبال في القرآن ومفهومها العلمي:

(...) ذكرت الجبال في القرآن الكريم في تسع وثلاثين آية، ست آيات تذكر الجبل بالمفرد، وثلاث وثلاثين آية تذكر الجبال بالجمع، وهناك عشر آيات أخرى تتحدث عن الجبال بوصف الرواسي، هذه الآيات قمت بتبويبها في موضوعات متعددة متخصصة،

وأقول باختصار، هناك آيات تشير إلى أنها مرتفعات على سطح الأرض، مثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا﴾ [البقرة: ٢٦٠]، ﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ [هود: ٤٣]، وآيات تشير إلى ضخامة الكتلة الجبلية وارتفاعها وطبيعتها المائلة، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ [الرعد: ٣١]، ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ﴾ [الحشر: ٢١]، وكلها آيات تعظم من شأن هذه التضاريس الأرضية.

وهناك آيات تشير إلى جبال لها تاريخ، مثل جبال قوم ثمود الذين كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً، وآيات تشير إلى الجبال التي شهدت بعض المعجزات، مثل جبل سيدنا إبراهيم، وجبل موسى عليه السلام، وآيات تذكر استخدام كل من الإنسان والحيوان للجبال كملجأ وسكن، مثل آيات سورة النحل: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [النحل: ٦٨]، وآيات تصف الجبال بأنها أوتاد، وهكذا، فلدينا عشر آيات واضحة تؤكد أن الجبال لها دور في تثبيت القشرة الأرضية، إن هناك آيات تصف الجبال من الناحية المادية بأنها من جدد بيض وحمر وسود، كما في سورة فاطر، وآيات تشير إلى أن الجبال تتحرك وليست ساكنة، بالرغم من كتلتها الهائلة، وهي إشارة إلى تحرك الأرض،

صورة لقمة إيفرست أعلى قمة في جبال الهملايا

وآيات تشير إلى الجبال في إطارها الروحاني غير العادي وغير الملموس بوصفها تعبد الله وتسجد له سبحانه وتعالى، مثل آيات واردة في سور: طه، الحاقة، المزمل، الطور، المعارج، وآيات تشير إلى نهاية الجبال في الآخرة، لكننا لن نتحدث في كل هذه المجموعات التسع التي تنقسم إليها آيات القرآن الكريم، وإنما سنعرض الآيات التي تتحدث عن الجانب العلمي للجبال.

ذكرت الجبال في ٣٩ آية

أولاً-الجبال أوتاد: التي يقول فيها الحق تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٦-٧]. وبالرغم من أن المفسرين القدامى مروا على هذه الآية مرور الكرام وتوصلوا، أو توصل بعضهم إلى تصور أن الجبال لها دور في تثبيت الأرض، لكنهم لم يستطيعوا شرح هذا الدور في إطاره العلمي الصحيح، ويعجب الإنسان حين يرى هذه الإشارة هي كلمتين: (والجبال أوتاداً)، فكما أن الوتد أغلبه مندس في الأرض وأقله ظاهر على السطح، ووظيفته التثبيت، فقد أثبت أهل العلم الحديث أن هذه وظيفة الجبال، وأن هذه هيئة الجبال، وإذا أخذنا أي دائرة معارف علمية، أو أي معجم لغوي أو علمي، وبحثنا عن مدلول كلمة (جبل) وجدنا المعاجم الصادرة في التسعينيات (٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤) وإلى يومنا هذا، ...أن الجبال نتوءات على سطح الأرض، ترتفع فوق الأرض المحيطة بها بمدى يتراوح بين ٣٠٥ و ٦١٠ متراً ويزيد، ويعتبرون ما دون ذلك من الربى، (جمع ربوة)، والربوة هي التل المرتفع، ثم دون الربوة، التل، ودون التل: الهضاب، ثم السهول والأودية ن إلى غير ذلك...

فالعلماء الآن يعرفون هذه التضاريس الأرضية بهيئتها الظاهرة على سطح الأرض، ولكن لها امتدادات تخترق الغلاف الصخري للأرض، وان هذه الامتدادات تصل (نزولاً) من ١٠ إلى ١٥ ضعف ارتفاع الجبل فوق سطح الأرض، تماماً كالوتد: أقله ظاهر على سطح الأرض وأغلبه مندس في صخور الأرض، أو تربتها، وقد توصل العلماء إلى ذلك بجهود علمية مضنية استخدموا فيها العمليات المساحية، وعندما اكتشفت هذه الظاهرة كان المساحون البريطانيون يقومون بمسح جبال الهمالايا، والمساحون يستخدمون منضدة مستوية (Plate Table) والمنضدة هذه كان لها شاقول، أي خيط، وله ثقل معدني، فلاحظوا أن هذا الثقل المعدني ينجذب إلى الكتلة الجبلية، ولكن بأقل من تقدير الكتلة، ليس هذا فقط، بل أنه في بعض الحالات كان الشاقول هذا يندفع بعيداً عن الكتلة الجبلية، فالكتلة الجبلية أصلاً تشده إليها، فاعتبروا ذلك نمطاً من أنماط السحر في الهند، والهند مليئة بالسحرة، إلى أن حاول العلماء أن يقدموا تفسيراً لذلك فقالوا: لا بد أن كتلة الجبل هذه، وهي مكونة من صخور خفيفة، تندفع إلى الداخل حيث توجد صخور ذات كثافة أقل من الصخور من المحيطة بها، فيصبح جذب الجبل للبالون هذا أو للشاقول أقل من العادة أو حتى قد يدفع البالون في عكس اتجاه الجبل، نظراً لوجود صخور محيطة أعلى كثافة.

ثم استطاع العلماء منذ بدايات الثلاثينيات من القرن العشرين أن يدرسوا في جبال الألب وجبال الروكي في أمريكا، بطرق علمية ملموسة - كيف أن هذه الجبال فعلاً تنغرس في أعماق سحيقة، بدأت مجموعة من العلماء الجيوفيزيقيين (أو الذين يدرسون الطبيعة الأرضية)، بواسطة دراسات الهزات الأرضية، وبواسطة دراسة القياسات التثاقلية الأرضية، أن يؤكدوا بما لا يرقى إليه شك أن هذه الجبال الظاهرة على سطح الأرض والمرتفعة ارتفاعاً كبيراً لها امتدادات تزيد عن هذا الارتفاع من ١٠ إلى ١٥ ضعف، ويثبت بذلك أن سمك الغلاف الصخري للقارات يتراوح من ٣٥ إلى ٤٠ كيلو متر في المتوسط، ونجد

عمق الجبال تحت الأرض أكثر من عشرة أضعاف ارتفاعها فوق الأرض

أن غلاف القشرة الأرضية في قيعان البحار والمحيطات يتراوح من ٥ إلى ٨ كيلو متراً، لأن الغلاف المكون القيعان البحار والمحيطات من معادن وصخور أعلى كثافة من المعادن والصخور التي تكون الغلاف الصخري للقارات...

ليس هذا فقط، بل لاحظ العلماء أن سمك الغلاف الصخري للقارات (الذي قدروه من ٣٥ إلى ٤٠ كيلو متراً) يصل في جبال الألب إلى أكثر من ٧٠ كيلو متر، ويصل في جبال الهملايا إلى أكثر من مائة كيلو متر، لأن الغلاف الصخري للأرض يبلغ سمكه (١٠٠) كيلو متر في المتوسط.

الوتد خير وصف لوظيفة الجبل

وفي جذر الجبل (المطمور) من الثروات المعدنية ما لا يمكن أن يتوفر إلا تحت مثل هذه القوى الهائلة من الضغط والحرارة.

لولا الجبال لما استقرت حركة اليابسة

وبكلمة واحدة يصف القرآن الكريم الشكل الخارجي للجبل، والشكل الداخلي له، ووظيفته الداخلية، وتبقى هذه الآية في سورة النبأ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٦-٧] آية معجزة، لأنه لم يكن أحد في وقت تنزيل القرآن الكريم يعرف شيئاً عن هذه الحقيقة الكونية، وبالطبع فإن العلماء يعرفون أن للشكل الخارجي هذا فوائد متعددة على سطح الأرض، منها جريان الأنهار، ولذلك نجد آيات الإرساء هذه يمن علينا ربنا تبارك وتعالى كثيراً بها في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، ويربط ما بين الجبال أو إرساء الأرض، وجريان الأنهار، وهناك وظائف كثيرة للجبال المليئة بالخيرات المعدنية، والجبال مأوى للبشرية قبل أن تعرف المسكن، والجبال مأوى لكثير من الحيوانات وكثير من الحشرات، كالنحل... ويعجب الإنسان لماذا تحدث القرآن الكريم في عشر آيات واضحة عن هذه الجبال على أنها رواسي ويمن علينا ربنا تبارك وتعالى بإرساء الأرض بالجبال في مثل قوله: ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [النازعات: ٣٢- ٣٣].

ثانياً- الجبال رواسي تثبت الأرض: يختلف العلماء في مجال علوم الأرض إلى يومنا هذا في فهم كيف يمكن للجبال أن ترسي الأرض، لأن كتلة الجبال بالنسبة إلى كتلة الأرض لا تذكر، فأعلى قمة هي ٨٨٤٨ متراً، يعني أقل من تسعة كيلو مترات، وأغور غور هو غور ماريانو عند جزر الفليبين، وعمقه ١١ كيلو متراً، يعني لا تصل المسافة إلى عشرين كيلو متراً... فمن أعمق غور إلى أعلى قمة إذا قورن هذا بنصف قطر الأرض الاستوائي (وهو أكثر من ستة آلاف كيلو متر)، نعرف كيف يمكن لهذه الكتل البسيطة أن تثبت الأرض، ولا يمكن أن يتخيلها الإنسان لأنها كتلة بسيطة للغاية، ولم يستطع الناس في العصور المتتالية أن يفهموا كيف أن الجبال تثبت الأرض، ففي أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات من القرن العشرين، توصل العلماء عند سبر أغوار المحيطات فوجدوا عجباً: وجدوا، وعلى عكس ما كان يعتقد الناس في الماضي، أن أكثر أجزاء المحيطات ضحالة هي أواسطها وأن أكثر أجزاء المحيطات عمقاً هي عندما يلتقي قاع المحيط بالقارة، واحتاروا: كيف يكون ذلك ؟

الشكل التالي يبن أماكن الصدوع على سطح الكرة الأرضية

اتجه العلماء إلى هذه السلاسل الجبلية (التي تمتد عبر قيعان البحار والمحيطات، وهي تفوق في ارتفاعها أعلى الجبال على سطح الأرض). فوجدوا أنها تحيط بشبكة هائلة من الصدوع، تمتد عشرات الكيلو مترات طولاً وعرضاً، تمزق هذا الغلاف الصخري إلى عمق مائة كيلو متراً، فأيقنوا أن من صفات الأرض الأساسية أنها ذات صدوع، ويعجب الإنسان هنا إلى هذه الإشارة التي جاءت في سورة الطارق، في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ [الطارق: ١٢]. تندفع من هذه الشبكة الهائلة من الصدوع حمم بركانية بملايين الأطنان، وبدرجات حرارة تتعدى الألف درجة مئوية، فتتحرك قيعان البحار والمحيطات تحت القارات لتكون جيوباً في أعماق قيعان البحار والمحيطات.

وفي هذه الجيوب تترسب كميات هائلة من الصخور الرسوبية، وحينما يتحرك قاع المحيط تحت القارة يمر بدرجات حرارة عالية فينصهر، ولو أنه انصهار جزئي، ثم يدخل في داخل الطبقة اللدنة شبه المنصهرة هذه، فيزيح كميات منها، فيؤدي إلى زيادة المداخلات النارية، ويؤدي إلى زيادة نشاط البركان، يختلط ذلك كله بالكم الهائل من الصخور الرسوبية ليتكون في هذا الجيب، لتتكون الجبال، وحينما تتكون السلسلة الجبلية فإنها تعمل تماماً كالمسمار الذي يخلط مادة القارة بقاع المحيط، وتمر هذه العملية بمراحل مذهلة للغاية، تبدأ بظهور جزر بركانية في قيعان البحار والمحيطات، وتظهر هذه الجزر، وهي قمم لسلاسل جبلية المتكونة فوق قيعان البحار والمحيطات، مثل: جزر هاواي، وجزر الفلبين، وجزر إندونيسيا... كل هذه الجزر عبارة عن قمم لسلاسل جبلية بركانية هائلة.

تصطدم هذه الجزر ببعضها لتنمو، ثم تصطدم بالقارة لتكون سلاسل جبلية، مثل جبال

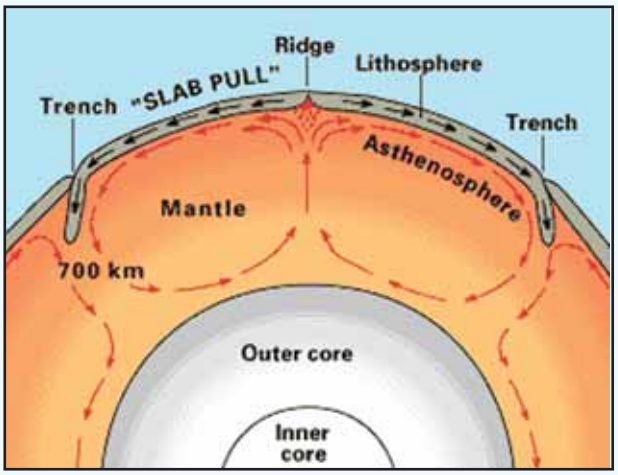

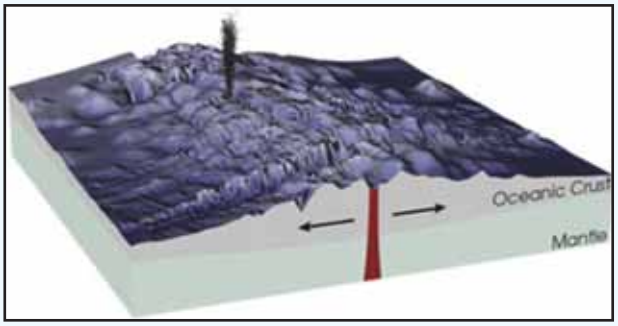

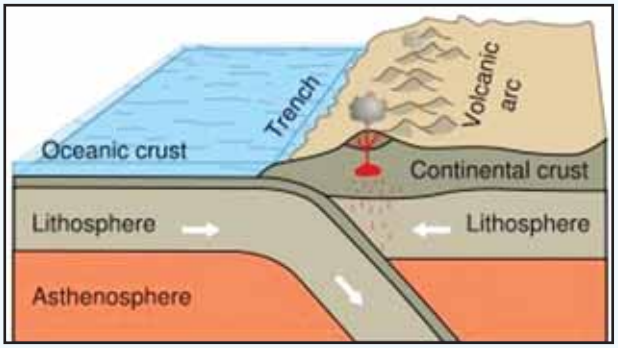

الأشكال التالية تبين تشكل الجبال من قعر المحيطات

الإنديز في أمريكا الجنوبية، وقد تصطدم قارة بقارة، ويستهلك قاع المحيط بينهما بالكامل، كما حدث في جبال الألب، وهذه آخر مرحلة لتكوين السلاسل الجبلية، وهي المرحلة التي يتكون فيها أعلى القمم الجبلية، وعندها تتوقف الحركة تماماً، تظهر للقارات مساحات صالحة للحياة، لأنه لو استمرت هذه الحركة لا يمكن لتربة أن تتجمع ولا

يمكن لنبتة أن تظهر ولا يمكن لطريق أن يرصف... ولذلك يمن علينا ربنا تبارك وتعالى في آيات كثيرة بإرساء الأرض بالجبال: ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [النازعات: ٣٢- ٣٣]. وتذكر الآيات القرآنية الإرساء، وهي آيات كثيرة، فنقرأ مثلاً في سورة الرعد قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: ٣]، وقال: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا﴾، فربط بين الرواسي والأنهار، لأنه لولا الرواسي ما كانت الأنهار، ونقرأ في سورة الحجر قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ [الحجر: ١٩]، والربط بين الرواسي والإنبات أيضاً في سورة النمل، يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٥]، وفي سورة الأنبياء يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣١]... انظروا إلى قول الله تبارك وتعالى: ﴿رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾، والميدان هو الاضطراب، ولرسول الله صلى الله عليه وسلم حديث رائع في مسند احمد بن حنبل، يقول فيه: (عندما خلق الله الأرض جعلت تميد فأرساها بالجبل)، أظن أنه لا يوجد وضوح أكثر من هذا...

وانتصاب الجبل على سطح اليابسة إنما هو من أعظم المعجزات، فالجبل بارتفاعه البسيط فوق سطح الأرض يندفع بنحو ١٠ - ١٥ ضعف هذا الارتفاع ليخترق الغلاف الصخري للأرض، ثم يطفو في هذه الطبقة، طبقة لدنة منصهرة عالية الكثافة عالية اللزوجة، فتحجبه بذلك قوانين الطفو،

يتحرك قاع المحيط تحت القارة فيولد حرارة تصهر بعضه

وهي التي تؤدي إلى انتصابها فوق سطح الأرض، ولولا هذا ما قام الجبل على الإطلاق، ولذلك فإن ربنا يشير إلى هذا في الآية: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ [سورة الغاشية: ١٧-١٩].

ثالثاً- ألوان الجبال: نطالع في سورة فاطر إشارة لطيفة جداً، يقول فيها الحق تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٧-٢٨]. لماذا هذه الألوان ؟ لأن الغالبية العظمى من مادة غلاف الأرض إما مكونة من صخور جرانيتية يغلب عليها اللون الأبيض أو الأحمر بدرجات متفاوتة، أو صخور قيعان البحار والمحيطات وهي صخور داكنة سوداء يغلب عليها الحديد والماغنسيوم، وهذه حقائق لم يدركها الناس

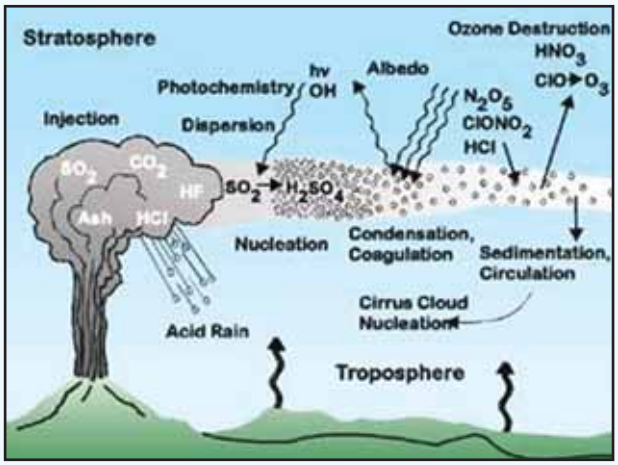

أصل الماء هو من جوفها الشكل التالي يبين بركان يخرج منه بخار الماء يتساقط على شكل أمطار

إلا في سنوات متأخرة للغاية، ويغطي ذلك بساط رقيق من الصخور الرسوبية ومن التربة، لكن الغالبية العظمى من الأرض بين هذه الألوان الثلاثة، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلفة ألوانها: هذه مادة القارات، وغرابيب سود هذه مادة قيعان البحار والمحيطات، والصخور التي تنطلق من فوهات البراكين، هذه أعظم تقسيمات للصخور.

رابعاً-حركة الجبال: الآية الأخيرة في هذه المجموعة هي آية حركة الجبال، ونقرأها في سورة النمل: ﴿*وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ*﴾ [النمل: ٨٨]، وهذه كناية لطيفة إلى دوران الأرض حول محورها أمام الشمس، إن كل الإشارات القرآنية إلى حركة الأرض عبارة عن إشارات تأتي في صياغة لطيفة لا تذهل ولا ترهب الناس في وقت تنزل القرآن الكريم، يفهم منها أهل العصور المتتالية منذ زمن التنزيل بقدر استطاعته، وتبقي الحقيقة القرآنية صحيحة، فكل إشارة إلى كروية الأرض، وإلى دوران الأرض، وإلى حركات الأرض المختلفة، إشارة لطيفة لا يفزع أهل البادية في وقت نزول القرآن الكريم منها.

خلاصة: هذه المجموعات الأربع من الآيات هي المجموعات التي تتعلق بالطبيعة العلمية البحتة للجبال، وهناك، كما أشرت، قضايا كثيرة أخرى عَرَضْتُ لها، أما بقية الآيات فلا يتسع المقام لتناولها، لأنها تخرج عن عنوان البحث وهو « المدلول العلمي للجبال »، وأردت بذلك أن أؤكد على أن الإعجاز العلمي للقرآن حقيقة ثابتة لأن القرآن كلام الله الذي أبدع هذا الكون بعلمه وحكمته وقدرته، وحينما يشير الخالق إلى خلقه لا بد أن تكون هذه الإشارات هي الحق المطلق الذي لا يمكن للعلم البشري مهما أوتي من أسباب الفتح أن يتجاوز هذا الفهم، ولذلك لو وعى المسلمون هذه الحقيقة لسبقوا غيرهم من الأمم في اكتشاف الكثير من سنن الكون وحقائقه، ولكن يبقى لنا دور مهم في الإشارة إلى هذه القضايا تثبيتاً لإيمان المؤمنين، ودعوة للمشركين والكافرين بأسلوب إثبات الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، وهو من أعظم أساليب الدعوة إلى الله في عصرنا هذا. (...)

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

---

* للراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع: www.quran-m.com بعنوان: (بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي المدلول العلمي للجبال في القرآن كمثال).

مصدر الصور: موقع الموسوعة الحرة http://wikipedia.org/

المحيطات أعمق ما تكون قريباً من القارات

عزيزي القارئ،

ضع هذه المجلة في المكتب أوفي البيت واترك المجال لمن تحب لكي يطّلع عليها. ولا تهملها أو تخزنها باكرًا، فقد يكون لك فيها أجر تذكير الناس بالله عزّ وجلّ. قال تعالى ﴿كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره﴾.

الرحمن علم القرآن

٢٨-إعجاز حفظ القرآن الكريم

أ.باسم وحيد الدين علي

من ميزات القرآن الكريم المثيرة لإعجاب علماء الاجتماع والباحثين من غير المسلمين والتي لا يضاهيه فيها كتاب آخر في العالم هي ميزات حفظ القرآن الكريم. ولحفظه وجوه إعجازية متعددة، منها ما يلي الخلق ومنها ما يلي الحق تبارك وتعالى، وأهمها:

١-شدة حرص النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام على كلام الله تعالى:

لو تتبعنا الطريقة التي حفّظ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن للصحابة الكرام فحفظوه في صدورهم، وكيف أملاه على عدد من الصحابة الملمين بالكتابة، وكيف منع الجميع من تدوين الأحاديث الشريفة كي لا تختلط بآيات القرآن الكريم، وكم كان حرص الصحابة من بعده على كلام الله، وعدم جرأتهم حتى على جمعه بدايةً في مصحف واحد خشية الخطأ أو البدعة، لعرفنا أن هذا الكتاب الكريم وصل إلينا بسند متصل، لا شك فيه، وعبر إجماع رجال ثقاة، ما تركوا بينهم مكاناً لكذاب أو مبتدع.

٢- جعل الله تعالى للقرآن الكريم في صدور المؤمنين مساحة لا يملؤها إلا كلامه تعالى، فيندر أن نجد مسلماً لا يحفظ شيئاً من القرآن، وكثر هم الذين يحفظون القرآن كله بتمام قواعده وأحكام تجويده وإحكامها. وأكثر منهم من يحفظ الجزء والجزءين والأجزاء الثلاثة منه، وأكثر وأكثر من يحفظ جزء عم ويحفظ معه مختارات من أشهر المقاطع يتلونها في الصلوات الجهرية ويستشهدون بها في محادثاتهم ومنتدياتهم.

٣- محفوظ في كل بلاد المسلمين وحتى بين العوام:

من تعود السفر والتجوال في العالمين العربي والإسلامي يعرف تمام المعرفة أنه ما زار بلدة أو قرية إلا وجد من يحفظ كتاب الله عن ظهر قلب، ولا يتفاجأن أحد إذا سمع فتىً أو كهلاً من عامة الناس يرد إماماً أو يصحح له إذا أخطأ في قراءته أو نسي أو تلعثم في الصلاة، وكأنها رسالة إلهية إلى كل ذي لب أن للقرآن جنوداً منتشرين في أصقاع العالم يحفظونه في صدورهم ويراجعوه لبقية الناس ويحرصون على رسمه ولفظه وتوقيره وتدقيقه.

٤- محفوظ في القرى النائية ولا يزال يدرس ولو بالطرق البدائية:

وحتى في القرى النائية المعدمة الفقيرة ، تجد للقرآن من يعلمه ومن يتعلمه ولو بالوسائل البدائية، فلا يزال الطريقة المثلى لمحو الأمية، ولو كتب بالطبشور على الألواح الخشبية العتيقة، لعدم توفر الأقلام والأوراق.

٥- صامد ومحفوظ ومخبأ رغم كل محاولات الإرهاب والإبعاد :

وما أهمل القرآن الكريم في بلد ما أو حورب، كما حصل خلال السنوات الثمانين من عمر الاتحاد السوفياتي المنحل، إلا وجد المسلمون في تلك البلاد طرقاً لإخفاء نسخ المصاحف عن الأعين ثم يقرأوها ويقرئوها سراً، ونجد في الوقت نفسه، أن للقرآن من يعنى به ويحفظه ويحافظ عليه في أمكنة أخرى من العالم الإسلامي. ومن يهتم بتراث الشعوب يجد في العالم كله نسخاً قديمة وقيمة من القرآن الكريم بخط اليد تتناقلها الأجيال بفخر واعتزاز.

٦- أعداد الحفظة في تزايد:

لكن المفاجأة المذهلة هي في أعداد حفظة القرآن وعدد مدارس تحفيظه في العالم، فقد قامت بعثة عربية إلى إندونيسيا في مطلع العام الحالي (٢٠١٠)، فأحصت أكثر من ثمانية آلاف مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم. مما يدفع إلى تقدير عدد حفاظه في أندونيسيا وماليزيا بحوالي مليون حافظ تقريباً. هذا دون أن نحصي عدد الناطقين

باللغة العربية الحافظين لكتاب الله عز وجل من آسيا إلى إفريقيا. وترى المسلمين في كل مكان يسابقون دولهم والمؤسسات المعنية، فيشجعون على حفظ القرآن وتحفيظه لأولادهم من يوم أن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ أُلْبِسَ وَالِدَاهُ تَاجاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ضَوْؤُهُ أَحْسَنُ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ فِي بُيُوتِ الدّنْيَا لَوْ كَانَتْ فِيكُمْ فَما ظَنّكُمْ بِالّذِي عَمِلَ بِهذَا».

وكيف لا يتوق فتيان المسلمين إلى حفظ القرآن بعد سماعهم قول الرسول الكريم ﷺ:

«إن عدد درج الجنة عدد آي القرآن فمن دخل الجنة ممن قرأ القرآن لم يكن فوقه أحد) وفي رواية يقال له اقرأ وارق فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها».

٧- إحراق نسخ من القرآن في مكان لا يغير في الاستمرار بطباعة القرآن ولا في انتشاره:

ليفهم الداعون إلى إحراق عدد من نسخ المصحف الشريف ومن وراؤهم أنه عمل حاقد وأبله، وأن الكتاب الكريم محفوظ في صدور لا يحصى عددها، عدا عما يطبع منه ويوزع بعشرات الملايين في أنحاء العالم وحيث تدعو الحاجة. وأن البدائل عمن أهمل القرآن حاضرة عند الله، مصداقاً لقوله تعالى في سورة المائدة:

﴿ *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ منكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ . . .* ﴾ إلى آخر الآية.

ولا بد من أن نذكر بالخير كل من يقوم على طباعة القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى مختلف لغات العالم، ويعمل على توزيع المصاحف مجاناً وفي العالم قاطبة، فما يتلف وما يحرق لا يبلغ إلا نسبة ضئيلة جداً مما يطبع ويوزع.

٨- تعهد المولى تعالى بحفظه من التحريف أو الضياع:

وأما الإعجاز في حفظ القرآن مما يلي الحق تبارك وتعالى فله وجوهه الخاصة، فالقرآن محفوظ من الزيادة والنقصان على مر الدهور والأزمان. ﴿ *والله تعالى يقول في سورة الحجر: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ [٩]* ﴾.

٩- تيسير حفظ القرآن لمن يرغب ويصدق في رغبته:

لإعجاز حفظ القرآن الكريم وجه آخر مدهش، وهو تيسير الله تعالى حفظ القرآن للمؤمنين، وهذه منة عظيمة منّها عزّ وجلّ على عباده الصادقين، ولا يفهمها كثير من الناس، فكيف يعجز الانسان عن حفظ بعض الوريقات المدرسية، وإذا به يفلح في حفظ ما ينيف على ستة آلاف آية؟

إنه فضل الله تعالى وحده إذ جعل القرآن ينساب برقة ودقة في الأسماع ليدخل بسرعة إلى الذاكرة، فتردده القلوب والعقول، وتنشرح منه الصدور حتى يصبح ترياقاً وشفاءً.

وحبذا لو يتسع المجال لذكر وجوه دقيقة في إعجاز حفظ القرآن فمنها توقف القاريء تلقائياً عند تلفظه بالقرآن خطأً وكأن جهاز إنذار داخلي يقرع لينبهه بأن ثمة خطأ قد حصل وأن عليه الإعادة والتصحيح، فمن زرع هذا الجهاز؟ ومتى وضعه وهل يمكن أن ينزعه؟ إنه إعجاز في إعجاز في إعجاز. لا يمكن أن تجد لذلك تفسيراً إلا من كلامه تعالى في سورة القيامة: ﴿ *لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ [١٦] إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ [١٧] فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ [١٨] ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ* ﴾ *١٩*.

١٠- معلومات القرآن ثابتة لم تتغير على مر العهود ورغم كل الاكتشافات:

ولحفظ القرآن إعجاز آخر من فضل الله تعالى وعظيم علمه وقدرته، وهو احتفاظ القرآن بمعلومات فيه ثابتة على مر الدهور. فالقرآن الكريم لم يجار المعلومات الخرافية التي كانت سائدة في عصر النبوة الأولى، ولم يحاب المعلومات التي كانت معتمدة في ذلك العصر، ولو فعل لصارت هذه المعلومات بعد بضعة قرون مدعاة للسخرية وعرضة للنقد اللاذع.

يقول الباحث الدكتور محمود أحمد الزين:

(أي كتاب من عند غير الله تعالى تتزايد أخطاؤه بمرور الزمن وتوالي الأيام وظهور الاكتشافات والعلوم الحديثة. فلو سألنا العلماء في أي اختصاص كان عن نسبة الأخطاء في كتاب ألفه صاحبه قبل مئة سنة، لكانت إجابتهم أن

وجود الخطأ يصبح أمرًا محتمًا لا ريب فيه ، إذن ماذا يقولون لو طرحنا السؤال عليهم بعد ألف سنة ؟ وقد طرحت هذا السؤال ذات مرة على طبيب فقال :إن تطور المعلومات الطبية في ألف عام لا بد أن يكشف أن أكثر هذا الكتاب صار أخطاء) .

وقد حافظ الله تعالى على ديمومة القرآن بأن حواه معلومات علمية دقيقة وثابتة، تماشت ولا تزال مع الأبحاث والمكتشفات الحديثة، بل وأثبتت تفوقها وتقدمها عليها .

١١-لا يوجد في العالم كتاب متعدد المواضيع إلا ارتفعت فيه احتمالات الخطأ:

ومن المعلوم أن تعدد الموضوعات في كتاب واحد يرفع نسبة الأخطاء، لأن أحداً من الخلق لا يستطيع أن يلم بمواضيع متعددة ومختلفة المناهل، ولن تجد كتاباً متعدد المواضيع كالقرآن الكريم، فمن حفظ هذه المعلومات من الخطأ؟

واحتمال الخطأ يرتفع عندما ينفرد كاتب ما بإعداد كتابه ولا تقل الأخطاء إلا إذا اشترك في التأليف عدد من المتخصصين، فكيف بالله عليكم لا نجد خطأ في كتاب ذي أهمية كالقرآن الكريم تعددت مواضيعه في عصر لا يتوفر فيه علم ولا علماء ولا أبحاث ولا من يبحثون؟ لكن المولى تعالى يتحدى فيقول: ﴿ **ذلك الكتاب لا ريب فيه** ﴾.

يقول الدكتور الزين في ذلك:(هل يمكن أن يعجز البشر عن كشف خطأ واحد في كتاب تعددت علومه ، جاء به إنسان واحد أمي ، من بلد أمي ، ومن أمة أمية ، وقد مضى على الكتاب ألف وأربعمائة عام ؟ هل يمكن أن يعجز البشر هذا العجز لو كان الكتاب من تأليف هذا الإنسان ؟).

لقد حفظ الله تعالى القرآن الكريم من الضياع والتحريف وحفظ معلوماته من الخطأ والزلل ولا داعي لمقارنته مع بقية الكتب القديمة وما دخل عليها من شطط وتحريف، فالأمر واضح.

١٢- أكثر كتاب كتب عنه وبحث فيه وقريء وحفظ:

يقول الشيخ الدكتور رجب ديب: (لا يوجد في العالم أجمع كتاب دُرِس كما درس القرآن وحُفِظ كما حفظ القرآن وانتقِد كما انتقَد القرآن واجتمعت على نَقده شياطين الإنس والجن دون جدوى كما حصل مع القرآن، والقرآن اليوم بات محفوظاً أكثر من ذي قبل فقد تنوعت العلوم المنبثقة عنه ، ولم يكتبٍ عن أي كتاب آخر كما كتب عنه). بما يجعله مصاناً معنوياً لشدة المدافعين عنه ولصرامة المحققين ولقوة حجج الواعظين، وكأن علوم القرآن ودروس القرآن، وتفاسير القرآن خطوط دفاعية تحيط بالكلام المقدس من كل جانب. فإذا بالكلام المقدس يشرّف الكتب والكاتبين، جزاءً وفاقا .

١٢- فشل كل محاولات تحريف القرآن وقوة التصدي لها:

إعجاز آخر فيما يتعلق بحفظ القرآن الكريم، كلما غاب لاح، وهو فشل محاولات تحريف القرآن أو حذف بعض آيات منه، أو دمج بعض آياته بمقاطع من كتب أخرى سماوية وأرضية سياسية وأدبية، وكلها تبوء بالفشل الذريع، فتجد أن المسلمين في العالم لا يستهويهم كتاب ككتاب الله تعالى، ولا يكرمون كتاباً كهذا الكتاب ولا يدافعون عن كتاب كذلك الكتاب الذي لا ريب فيه هدى للمتقين. فالحمد لله الذي منّ على أولي الألباب بهذا الشرف، والذي جعل لذتهم في ذكره وقراءة آياته وتدبر معانيها والعمل بها .

١٣- إعجاز تحول عدد من نقاده إلى الإسلام:

وهو أننا نفاجأ بأن من يكلف من أخصام الإسلام بدراسة القرآن ونقده والبحث عن عيوبه ونقاط الضعف فيه، لا بد أن يصل إلى مفترق طرق وعليه أن يختار، فإما أن يستسلم للحق ويشهر إسلامه، كما فعل عدد كبير من المستشرقين والمفكرين في الغرب، ومنهم روجيه جارودي المنظر السابق للحزب الشيوعي الفرنسي، وإما أن يخرج بدراسة واهية لا يلقي أحد لها بالا، وإما أن ينكفيء ويقلع عن الفكرة ويعود أدراجه إذا كان ممن يحترم موقعه الفكري أو الاجتماعي.

هذه بعض وجوه حفظ القرآن الكريم ولنعلم أن الله تعالى حفظ من حفظ القرآن، وشرّف من دافع عنه، ورفع من وقره ونصره، وأذل من تقاعس عن نصرته أو عاداه فخذله. والحمد لله رب العالمين.

مَنْ عَلَّم آدم

د. حسين رضوان اللبيدي[1]

... تمهيد:

العقل هو أداة التكليف وهو ميزة بشرية عالية، وهو لطيفة ربانية ميزت جنس الإنسان عن بقية المخلوقات، وهو موجود غير محسوس، وهو مدرك بآثاره الواضحة، والتي منها الفرق بين من له عقل ومن لا عقل له، وحتى هذا الفرق لا يدرك إلا به، وهو اللطيفة التي بها يفهم الحس ويتوصل به إلى نتائج ذات معنى من مقدمات متعددة، وهو المقياس المخترع المبدع وهو هبة من الله للإنسان تكليفاً وفي غيابه يسقط التكليف وبه يتمايز المكلفون. ولكي تتواصل العقول كان لا بد من لغة فيها بيان من خلالها تتلاقح الأفكار لتولد المعاني، والمعاني الجديدة ومن خلاله تتواصل المعاني الداخلية من فرد إلى فرد، ومن أمة إلى أمة وبقدر العقول تكون درجة ذلك البيان، وهذه اللغة وذلك البيان علم والعلم يحتاج إلى معلم فمن علم الإنسان؟ الإجابة أبواه وأساتذته وبتسلسل القضية حتى آدم يسأل العقل من علم آدم؟ وتسمع الإجابة من رب آدم: *(وعلم آدم الأسماء كلها..)*[الآية ٣١ سورة البقرة].

ومن هنا بدأت قضية اللغة: أتوفيقية هي أم اصطلاحية؟ بمعنى هل هي إلهام من الله أم من تواضع البشر؟ ولهذه القضية تاريخ طويل فهيا بنا في رحلة مع القضية عبر الزمان.

نشأة اللغة:

هناك أربع نظريات في نشأة اللغة هي:

١- النظرية الأولى: إلهام إلهي هبط على الإنسان فعلمه النطق وأسماء الأشياء وذهب إلى هذا الرأي:

أ - في العصور القديمة: الفيلسوف اليوناني هيراكليت،

ب - في العصور الوسطى: ابن فارس،

ج - في العصور الحديثة: الأب لامي والفيلسوف دوبونالد[2].

أقول: إن لغة العرب توفيق ودليل ذلك قوله تعالى: (وعلم آدم الأسماء كلها) فكان ابن عباس يقول: علمه الأسماء كلها وهي هذه التي يتعارفها الناس من دابة وأرض وسهل وجبل وحمار وأشياء ذلك من الأمم وغيرها. وعن مجاهد قال: علمه اسم كل شيء، وقال غيرهما: إنما علمه أسماء الملائكة، وقال آخرون: علمه أسماء ذريته أجمعين. فإن قال: أفتقولون في قولنا سيف وحسام إلى غير ذلك من أوصافه أنه توفيق حتى لا يكون شيء منه مصطلحاً عليه؟ قيل له: كذلك نقول، والدليل على صحة ما نذهب إليه إجماع العلماء على الاحتجاج بلغة القوم فيما يختلفون فيه أو يتفقون عليه، ثم احتجاجهم بأشعارهم، ولو كانت اللغة، واضعة واصطلاحاً لم يكن أولئك في الاحتجاج بهم بأولى منا في الاحتجاج لو اصطلحنا على لغة اليوم ولا فرق.

ولعل ظاناً يظن أن اللغة التي دللنا على أنها توقيف إنما جاءت جملة واحدة وفي زمان واحد. وليس الأمر كذلك بل وفق الله جل وعز آدم عليه السلام على ما شاء أن يعلمه إياه مما احتاج إلى علمه في زمانه وانتشرت من ذلك إلى ما شاء الله، ثم علم بعد آدم عليه السلام من عرب الأنبياء صلوات الله عليهم نبياً نبياً ما شاء أن يعلمه، حتى انتهى الأمر إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فآتاه الله عز وجل من ذلك ما لم يؤت أحداً قبله، تماماً على ما أحسنه من

اللغة المتقدمة، ثم قر الأمر فلا نعلم لغة من بعده حدثت. فإن أخطأ أحد في اللغة وجد من نقاد العلم من ينقيه ويرده.

ونقطة أخرى أنه لم يبلغنا أن قوماً من العرب في زمان يقارب زماننا أجمعوا على تسمية شيء من الأشياء مصطلحين عليه، فكنا نستدل بذلك على اصطلاح كان قبلهم. وقد كان من الصحابة رضي الله عنهم ـ وهم البلغاء والفصحاء ـ من النظر في العلوم الشريفة ما لا خفاء به وما علمناهم اصطلحوا على اختراع لغة أو إحداث لفظة لم تتقدمهم.

ومعلوم أن حوادث العالم لا تنقضي إلا بانقضائه ولا تزول إلا بزواله وفي ذلك دليل على صحة ما ذهبنا إليه من هذا الباب. ورد ابن جني على النظرية بتأويل الآية (وعلم آدم الأسماء ...) بأنها قد تحتمل أن الله تعالى أقدر الإنسان على وضع الألفاظ.

وفي العهد القديم، سفر التكوين: (الله خلق من الطين حيوانات الحقول وجميع طيور السماء ثم عرضها على آدم ليرى كيف يسميها وليحمل كل منها الاسم الذي يضعه لها الإنسان، فوضع آدم أسماء لجميع الحيوانات المستأنسة ولطيور السماء ودواب الحقول ..). ويقول الأستاذ الدكتور علي عبد الواحد: أن ككل هؤلاء يقررون بأن اللغة التوفيقية إلهامية ولكن أصحاب هذه النظرية لا يكادون يقدمون بين يدي مذهبهم دليلاً يعتد به. وأما أدلتهم النقلية فبعضها يحتمل التأويل وبعضها يكاد يكون دليلاً عليهم لا لهم.

٢- النظرية الثانية:

تقول بأن اللغة اصطلاحية حدثت بالتواضع والاتفاق وارتجال ألفاظها ارتجالاً ومن أهم من تكلموا عنها ابن جني[٣] يقول: (هذا موضع محتاج إلى فضل تأمل، غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تراض واصطلاح لا وحي

ما هي الأسماء التي علّمها سبحانه لآدم؟

(وتوقيف) ويشرح ذلك بقوله: وذلك أنهم ذهبوا إلى أن أصل اللغة لا بد فيه من المواضعة قالوا: وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعداً فيحتاجون إلى الإبانة عن الأشياء المعلومات، فيضعون لكل واحد منها سمة ولفظاً ثم يقول: (أن كل اللغات تجري على هذا المنوال ثم يتولد منها لغات كثيرة، ولكن لا بد لأولها أن يكون متواضعاً عليه بالمشاهدة والإيماء). (...)

ويعلق الأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابه[٤] بقوله: وليس لهذه النظرية أي سند عقلي أو نقلي أو تاريخي، بل إن ما تقره ليتعارض مع النواميس العامة التي تسير عليها النظم الاجتماعية، فعهدنا بهذه النظم أنها لا ترتجل ارتجالاً ولا تخلق خلقاً، بل تتكون بالتدرج من تلقاء نفسها.

هذا ولأن التواضع على التسمية يتوقف في كثير من مظاهره على لغة صوتية يتفاهم بها المتواضعون فما يجعله أصحاب هذه النظرية منشأ للغة يتوقف هو نفسه على وجودها من قبل.

٣- النظرية الثالثة:

تقرر أن الفضل في نشأة اللغة يرجع إلى غريزة خاصة زود بها في الأصل جميع أفراد النوع الإنساني، وإن هذه الغريزة كانت تحمل كل فرد على التعبير عن كل مدرك حسي أو معقول بكلمة خاصة به كما أن غريزة التعبير الطبيعي عن الانفعالات تحمل الإنسان على القيام بحركات وأصوات خاصة (الضحك، البكاء تغيرات الأسارير المختلفة ..) وأن هذه التغيرات الغريزية عامل مشترك من البداية لجنس الإنسان . وأنه بعد نشأة اللغة الإنسانية الأولى لم يستخدم الإنسان هذه الغريزة فأخذت تنقرض شيئاً فشيئاً حتى تلاشت.

أية أسماء استنبطها آدم وبنوه بعد ذلك؟

ولقد وجد العالم الألماني مكس مولر أن اللغات الهندية الأوربية وهي إحدى اللغات الثلاث التي ترجع

إليها اللغات الإنسانية لها مفردات لا تتجاوز خمس مئة أصل مشترك وأن هذه الأصول تمثل اللغة الأولى التي انشقت منها هذه الفصيلة، وتبين له من تحليل هذه الأصول أنها تدل على معاني كلية، وأنه لا تشابه مطلقاً بين أصواتها وما تدل عليه من فعل أو حالة ففي دلالتها على معاني كلية برهان قاطع على أن اللغة الإنسانية الأولى لم تكن نتيجة تواضع واتفاق... لماذا؟

الإجابة: – لأن التواضع يتوقف على وسيلة يتفاهم بها المتواضعون، وهذه الوسيلة لا يعقل أن تكون اللغة الصوتية، لأن المفروض أن المتواضع عليه هو أول ما نطق به الإنسان من هذه اللغة ولا يعقل أن تكون لغة الإشارة لأننا بصدد ألفاظ تدل على معاني كلية أي على أمور معنوية يتعذر استخدام الإشارة الحسية فيها.

– لأن التواضع فيه تحديد للمعاني وفي عدم وجود تشابه بين أصواتها وما تدل عليه برهان قاطع على أن اللغة الإنسانية لم تنشأ من محاكاة الإنسان لأصوات الطبيعة (أصوات التغيير الطبيعي عن الانفعالات وأصوات الحيوانات والأشياء ... لماذا ؟

والجواب: لأن الأصوات الطبيعية محدودة ولو كانت هي التي تشمل أصول اللغة الأولى لوجدنا تشابها ظاهراً بين أصواتها.

ويبنى نقد النظرية على ما يأتي:

إن هذه النظرية تعتمد من البداية على أساس واه لأنها جعلت بداية اللغة أصولاً مشتركة تدل على معاني كلية، ومن الواضح أن إدراك المعاني الكلية يتوقف على درجة عقلية راقية لا يتحور وجود مثلها من البداية البسيطة بل إن هناك عملية استقراء لقبائل بداية بينت أن اللغة البدائية لهم بعيدة كل البعد عن الكليات وقريبة من المعاني المحدودة[٥].

٤– النظرية الرابعة:

الأسماء تجمع العقل والعاطفة

تقرر أن اللغة الإنسانية نشأت من الأصوات الطبيعية (أصوات مظاهر الطبيعة وأصوات الحيوانات وأصوات الأفعال، كصوت الضرب والقطع وغير ذلك، وسارت في سبيل الرقي شيئاً فشيئاً تبعاً لارتفاع العقلية الإنسانية وتقدم الحضارة وتعدد حاجات الإنسان.

وبحسب هذه النظرية، يكون الإنسان قد افتتح هذه السبل بمحاكاة أصوات الطبيعة والمؤثرات الناتجة من الأفعال كصوت الريح وخرير الماء وحفيف الشجر وصوت سقوط الصخور وكان يقصد من هذه المحاكاة التعبير عن الشيء الذي ينتج عنه الصوت المحاكى أو عما يلازمه أو يصاحبه من حالات وشؤون، واستخدام في هذه المحاكاة ما زود به من قدرة على لفظ الأصوات المركبة ذات المقاطع.

وكانت لغته في بادئ الأمر محدودة الألفاظ الطبيعية التي أخذت عنه قاصرة عن الدلالة على المقصود، ثم اتسعت وتطورت .... وبعد أن استعرض الأستاذ الدكتور علي عبد الواحد بشكل وافي هذه النظرية في كتابه (٦) استطرد قائلاً: وهذه النظرية هي أدنى نظريات هذا البحث إلى الصحة وأقربها إلى المعقول، وأكثرها اتفاقاً مع طبيعة الأمور وسنن النشوء والارتقاء الخاضعة لها الكائنات وظواهر الطبيعة والنظم الاجتماعية. ثم يقول: ولم يقم أي دليل يقيني على صحتها، ولكن لم يقم أي دليل يقيني على خطئها، وكل ما يذكر لتأييدها لا يقطع بصحتها.

ومن أهم أدلتها أن المراحل التي تقررها بصدد اللغة الإنسانية تتفق في كثير من وجودها مع مراحل الارتقاء اللغوي عند الطفل. فقد ثبت أن الطفل في المرحلة السابقة لمرحلة الكلام، يلجأ في تعبيره الإرادي إلى محاكاة الأصوات الطبيعية فيحاكي الصوت قاصداً التعبير عن مصدره أو ما يتصل به ومن المقرر أن المراحل التي يجتازها الطفل في مظهر ما

أنبأ آدم الأسماء بنطقه

من مظاهر حياته تمثل المراحل التي اجتازها النوع الإنساني في هذا المظهر.

ومن أدلتها كذلك أن ما تقرره بصدد خصائص اللغة الإنسانية في مراحلها الأولى يتفق مع ما نعرفه عن خصائص اللغات في الأمم البدائية، ففي هذه اللغات تكثر المفردات التي تشبه أصواتها ما تدل عليه. ولنقص هذه اللغات وسذاجتها وإبهامها وعدم كفايتها للتعبير، لا يجد المتكلمون مناصاً من الاستعانة بالإشارة اليدوية والجسمية في أثناء حديثهم لتكملة ما يفتقر إليه من عناصر وما يعوزه من دلالة. ومن المقرر أن هذه الأمم لبعدها عن تيارات الحضارة وعزلتها، تمثل إلى حد كبير النظم الإنسانية في عهودها الأولى.

بعد هذه الجولة مع نظريات نشأة اللغة نلاحظ أن النظرية الثانية والثالثة قد اعتمدتاعلى حجج واهية أو ملفقة أصبحت بمثابة معاول هدم لهما، وبقيت النظرية الأولى وهي التوفيقية الإلهامية والنظرية الرابعة وهي التطورية (من بداية محاكاة أصوات الطبيعة إلى اللغة الإنسانية الراقية) بقيتا بغير مرجع يقيني في رأي علماء اللغة.

فهل اللغة إلهامية (توفيقية) أم تطورية طبيعية؟ هذا السؤال عجز علماء اللغة حتى الآن عن الإجابة عليه فهل هناك بصيص للوصول إلى إجابة عليه قاطعة لهذا السؤال المعلق؟.

أقول، وبالله التوفيق: نعم ... كيف؟ هناك ظواهر علمية تجلت للعلماء حديثاً يمكنها أن تجيب يقيناً على هذا السؤال الهام وهي كالآتي: لاحظ العالم «دافيد هيوبل» والعالم «وسل» وهم من علماء جامعة « هارفارد « أن الأطفال الذين يولدون لعتامة عدسة العين يصابون بعمى دائم وإن لم تعالج العتامة مبكراً وقبل مرور زمن محدد بعده تصبح العين عمياء حتى لو تم إزالة العتامة[٧].

وفتحت هذه الملاحظات الهامة الباب على مصارعه لأبحاث نمو (الممر العصبي البصري) من العين وحتى القشرة البصرية بمناطقها المختلفة، واستخدام العلماء القطط والقرود في كشف أسرار لم تكن معروفة وذلك بخياطة عيون القطط وغيرها في فترات مبكرة ومتأخرة وملاحظة هندسة الممر البصري حتى داخل القشرة الابصارية، وكانت خلاصة هذه الأبحاث الهامة، أن الممرات الحسية كممر السمع والبصر ومراكزها داخل المخ (مراكز السمع والبصر) يتم بناؤه على العموم وفقاً لخطة جينية مسبقة لكن الارتباطات الداخلية اللازمة لأداء وظائفها على أكمل وجه يلزمه التقاء المؤثرات الحسية الخارجية، كالأصوات والصور مثلاً، بالمستقبلات الحسية كالعين والأذن حتى يتم استكمال النظام الهندسي داخل مركز الحس في المخ واللازمة لعمل تلك المراكز ولا بد أن يتم هذا الالتقاء في فترة محددة بمعنى أنه لو لم يتم هذا التزاوج بين المؤثرات الحسية الخارجية (الكونية) وبين مراكز الحس في الفترة المحددة المبكرة فإن نمو المراكز سيكون، مشوهاً أو معوقاً مدى الحياة ويترتب على ذلك إعاقة أو ضمور أو تشويه تلك المراكز المحورية فلقد لاحظ العلماء أن خياطة أعين القطط مبكراً في الفترة الحرجة ثم فتحها بعد ذلك يؤدي إلى حدوث عمى نهائي لهذه القطط بينما خياطة أعينها ثم فتحها، بعد هذه الفترة الحرجة لا يؤدي إلى عمى دائم ويعود الإبصار إليها كما كان. (الفترة الحرجة في القطط هي الشهور القليلة بعد الولادة). وفي جامعة « كارل ماركس « قام العالم «دينمار بيسولد» والعالم «فولكو بيجل» بتأكيد ذلك. وخلاصة هذه الأبحاث الرائعة يمكن تلخيصها كما جاء في مجلة العلوم الأمريكية[٨] فيما يأتي:

الأطفال مجهزون بآليات إدراك فطرية

وجد العلماء أن الهريرات (القطط) التي أغلقت إحدى عينها خياطة خلال الأشهر القليلة الأولى من ولادتها تقل لديها، بشكل ملحوظ، نسبة الخلايا

العصبية الموجودة في المنطقة ١٧ في القشرة المخية المستجيبة لتنبيه العين المغلقة وبقيت كذلك حتى بعد فتح عينها أما العين التي بقيت مفتوحة فإن المراكز الخاصة بها في المخ نمت نمواً طبيعياً، ويلاحظ العلماء أن العطب بقي ملازماً للقط حتى آخر عمره أي بقيت هذه العين عمياء حتى آخر عمر القط.

ويعتمد التأثير بشكل حاسم على توقيت الحرمان ولقد وجد «هوبل ويزل» أن الحرمان الأحادي العين أثناء البلوغ لم يغير من عضوية المنطقة ١٧ فبقيت سليمة هذه الفترة الحرجة. وكل الأبحاث النفسية أكدت أهمية المناغاة للطفل في مراحله المبكرة حتى تستقيم لغته وبيانه. بل أظهرت حالات الحرمان الحسي والحركي، أو الحركة في الأطفال الذين ربوا في ملاجئ معزولة قاحلة، وجود تخلف حركي ولغوي ووجدوا كذلك تأخرًا في النمو العقلي ولقد لاحظ عالم النفس «سيلز» أن الحيوان إذا استمر فترة طويلة (بعد الفترة الحرجة) فإن التخلف سيكون غير قابل للتحسن.

وأثبتت الدراسة التي قام بها العالم النفسي «واين دينيس» في أحد الملاجئ اللبنانية أن الحرمان الحركي المبكر للأطفال يؤدي إلى تخلف عقلي غير قابل للإصلاح (نهائي) إذا استمر الحرمان لفترة ما بعد الفترة الحركة التي قدرها بسنتين.

ولأن اللغة والبيان تتأثر بنمو المخ الطبيعي من ناحية والنمو العقلي السوي من ناحية أخرى فإن علماء اللغة انتبهوا إلى هذه الظواهر العلمية وسخروها لأبحاثهم ليكشفوا بعض أسرار البيان البشري . فماذا وجد العلماء، لقد وجدوا ما يأتي:

١) . أن الأطفال يخرجون من بطون أمهاتهم وهم مجهزون بآليات إدراك فطرية، وأنها مهيأة وإلى حدٍ كبير

مراكز السمع والبصر تساعد الأطفال على التعاطي مع العالم المحسوس

للتكيف مع خصائص لغة البشر التي تعدهم لعالم اللغة التي سيواجهونه مستقبلاً.

٢) . إن هذه الآليات عامة بمعنى أنها تتعامل مع ذبذبات (ترددات صوتية) تشترك فيها جميع لغات البشر لتشكل هذه الترددات أرضية مشتركة للغات البشرية المختلفة.

٣) . أن استقبال الطفل للغة مبكراً يبدأ بالتقاط تلك الذبذبات (الترددات) البشرية العامة وتنميتها ثم تبدأ بعد ذلك الخصصة من خلال تعامل الطفل للوسط اللغوي الذي يعيش فيه بالتركيز على لغة خاصة وتنمية ذبذبة أو ذبذبات معينة مع كمون أو ضمور الأخرى التي لم تنس[٩].

بعد هذه الجولة مع تلك الحقائق العلمية يمكن أن نصل إلى النتائج التالية:

أ . أن مخ الطفل حديث الولادة يحتوي على مراكز للسمع والبصر جاهزة للاستخدام ولكن تحتاج إلى استكمال وظيفي يتمثل في اتصال خلاياها وفقاً لخطة وهدف محدد بمحكمة.

ب . أنه لكي تنمو المراكز وغيرها نمواً سليماً يحقق وظائفها على أكمل وجه، فإنه لا بد لهذه المراكز أن تتلقى سيلاً من التنبيهات العصبية الناتجة من تأثير الأصوات والصور الخارجية على مستقبلات السمع والبصر ولا بد أن يكون هذا التلقي مبكراً في فترة حرجة وإذ لم يتم ذلك أو أعيق في تلك الفترة المبكرة فإن تعطيلاً كلياً أو جزئياً سيصيب تلك المراكز وفقاً لدرجة الإعاقة ويكون هذا الخلل نهائياً ومستديماً.

التلقي والتفاعل في سن مبكرة ضروري لنمو الإدراك وإلا فالإعاقة

ج . ولأن مركز اللغة في مخ الإنسان هو المنطقة التي يصب فيها مركز السمع ومركز البصر بل إن امتدادات مركز السمع إلى الخلف ومركز البصر إلى الإمام تشكل منطقة فهم البيان وإنتاجه في المخ

البشري، ولذلك فإن أي تعطيل أو تعويق لهذه المراكز يعني بالتالي تعطيل أو تعويق في إنتاج اللغة والبيان البشري.

د - إن جهاز اللغة أو مركز البيان في المخ البشري يحتاج لتنشيطه إلى ترددات (ذبذبات) من جنس الذبذبات الخاصة بالنطق البشري، ولا بد لهذه الذبذبات البشرية أن تلتقي بمراكزها الحسية في المخ في فترة مبكرة ومحددة بعد الولادة وإلا لحدث تعطل كلي أو جزئي ومستقيم لملكة البيان البشري بل وقد يمتنع إنتاج اللغة المنطوقة من البداية.

وهذه الظواهر البيولوجية والفسيولوجية المؤكدة عليها تسقط النظرية التطويرية للغة وهي النظرية الرابعة وتراجع النظرية التوفيقية أو الإلهامية للغة وهي النظرية الأولى « لأن النظرية التطويرية تعتمد على أن الإنسان من البداية كان لا يسمع إلا الأصوات الطبيعية ومعنى ذلك أن مراكز السمع والنطق في مخه ستبنى وفقاً لهذه الذبذبات (الأصوات) وسيكون هذا البناء نهائياً وعلى ذلك فستكون تلك الأصوات الطبيعية هي منطوق آدم التي سيقوم بتعليمها لأبنائه وبذلك لن تكون هناك فرصة لظهور البيان البشري المعروف. وبذلك يمكن للنظرية الأولى أن ترتفع إلى حد اليقين العلمي، وإن آدم عليه السلام لا بد وأن يكون قد تلقى تعليماً لغوياً من جنس ذبذبات اللغة البشرية مبكراً ثم استمر التلقين بعد ذلك.

يحتاج النطق إلى تعليم مبكر

وبمعنى آخر، يمكن أن نقول: أن الطفل لا بد لكي يكون ناطقاً أن يتلقى تعليمه مبكراً من أبويه، وأبواه ممن سبقهم وتسلسل إلى آدم فيكون السؤال المنطقي - من علم آدم؟ فلا نجد إجابة علمية يقينية إلا: (وعلم آدم الأسماء كلها). فهيا بنا مع معجزة الوجود مع كتاب الله الخالد الوحيد الباقي المحفوظ ... ليكون دستوراً للعالمين لمن شاء منهم أن يستقيم. هيا بنا مع القرآن الكريم لنرى كيف عرض الحق قضية تعليم الإنسان من لدن آدم.

(وعلم آدم الأسماء كلها)

جاء في الطبري: ما هي الأسماء التي علمها سبحانه لآدم؟.

هناك آراء في ذلك منها:

- أسماء المخلوقات التي تحيط بالإنسان.
- أسماء كل شيء.
- أسماء الملائكة.
- أسماء ذريته.

وفي روح المعاني للألوسي جاء في شرح هذه الآية:

الأسماء جمع اسم وهو باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلاً برفعه إلى الذهن من الألفاظ الموضوعة بجميع اللغات والصفات والأفعال واستعمل عرفاً في الموضوع لمعنى مفرداً كان أو مركباً أو خبراً أو رابطة بينهما وكلا المعنيين محتمل، والعلم بالألفاظ المفردة والمركبة تركيباً خبرياً أو إنشائياً يستلزم العلم بالمعاني التصورية والتصديقية وقال الإمام: والمراد بالأسماء صفات الأشياء ونعوتها وخواصها لأنها علامات دالة على ماهياتها فجاز أن يعبر عنها بالأسماء، وقيل المراد بها أسماء ما كان وما سيكون.

(كيفية التعليم):

يقول الألوسي: التعليم هو فعل يترتب عليه العلم غالباً بعد حصول ما يتوقف عليه من جهة المتعلم كاستعداده لقبول الفيض وتلقيه من جهة المعلم. وعن كيفيته بالنسبة لآدم في هذا المقال يقول:

- خلق الله فيه عليه السلام بموجب استعداده علماً ضرورياً تفصيلياً بتلك الأسماء وبمدلولاتها وبدلالتها ووجه دلالتها.
- بأن خلقه الله من أجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعداً لإدراك أنواع المدركات وألهمه معرفة ذوات

الأشياء وأسمائها وخواصها وأصول العلم وقوانين الصناعات.

– كان التعليم بواسطة ملك يلقنه ذلك.

– وقال بوجود لغة اصطلاحية كانت لدى آدم قبل تعليمه ومن خلال وحداتها تم تعليمه العلم الكامل.

ويقول الفخر الرازي في تفسيره:

قال الأشقر والجبائي والكعبي أن اللغات كلها توفيقية بمعنى أن الله تعالى خلق آدم ضرورياً بتلك الألفاظ وتلك المعاني وبأن تلك الألفاظ موضوعة لتلك المعاني.

وبعد هذه الجولة مع تفسير الآية الكريمة: (علم آدم الأسماء كلها) نلاحظ أن معنى الآية واضح في أن الله علم آدم ما لم يكن يعلم وفي سورة العلق تأكيد لذلك إذ يقول الحق تبارك وتعالى: (علم الإنسان ما لم يعلم) وفي سورة الرحمن إشارة أخرى للتعليم إذ يقول الحق عز وجل في محكم تنزيله (خلق الإنسان علمه البيان).

ويقول الفخر الرازي مفسراً لمعنى البيان: البيان: المنطق فعلمه ما ينطق به ويفهم غير ما عنده وهو ميزة بشرية.

ويحتمل أن يتمسك بهذه الآية على أن اللغات توفيقية حصل العلم بها بتعليم الله. يقول الإمام الشنقيطي في تفسيره (أضواء البيان). علمه البيان علمه الإفصاح عما في الضمير ثم يربط رحمة الله بين هذه الآية والآية في سورة النحل: (خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين). فيقول: فالإنسان بالأمس نطفة واليوم هو في غاية البيان وضده الخصام يجادل في ربه وينكر قدرته على البعث « وأن هذه النطفة مهما نمت وكبرت وأصبحت جسداً فإنها لن تعطي بياناً بل تعطي جسداً أبكم فمن علم الإنسان من البداية البيان فأخرجه من بكمه الحتمي إلى بيانه الراقي[١٠].

ثم تأتي الآية (٧٨) من سورة النحل لتشير في إعجاز مبهر إلى المراحل الزمانية لتشكيل ملكة السمع والبصر بعد ولادة الطفل: (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون)، فالطفل يولد وله جهاز عصبي فيه مراكز السمع والبصر وغيرها، ولكن هذه المراكز تحتاج للاستكمال الوظيفي وفقاً لالتقائها بالمحسوسات الخاصة بها والمخلوقة وفقاً لها ويتم ذلك بعد ولادة الطفل ومن هذه المراكز وفيها يتكون البيان البشري وفق مراحل زمنية علمها عند خالقها العليم الحكيم.

وبعد هذه الجولة نصل إلى النتيجة التالية: أن النقل (القرآني) يشير بوضوح إلى حتمية وجود معلم لآدم من البداية والعلم العقلي اليقيني يؤكد حتمية التقاء الأصوات والصور مبكراً بأدوات حس الطفل بعد الولادة حتى يمكن أن ينشأ طفلاً متكلماً مبيناً ولا بد أن تكون هذه الأصوات من جنس ترددات الأصوات البشرية وإذ لم يحدث ذلك مبكراً لحدث تعطيل كلي أو جزئي في عملية البيان للإنسان بعد ذلك.

اللغة اصطلاحية كسبية أم وهبية؟

وتبقى مشكلة وهي: على أي حال كان تعليم آدم؟

العلم المشاهد يرجع قياساً أن تعليمه كان عن طريق التعليم وهذه فطرة فطر الله عليها جهاز البيان في مخ الإنسان المكلف بأنه يحتاج من البداية لسماع أصوات بشرية حتى تستكمل مراكزه داخل المخ فيكون أهلاً للبيان البشري والمنطق الإنساني ولو تعطل ذلك فإن الإنسان سينشأ أبكم أو معوقاً بياناً. وهذه حكمة جعلها الله في عالم الأسباب لتكون حجة للعقل أو حجة عليه حتى بتسلسل العقل مع حلقات الأسباب موقناً أن كل إنسان يحتاج إلى معلم ملقن يسبقه فيسأل العقل: من علم آدم؟ فتكون الإجابة الوحيدة الله علم آدم.

فيكون السؤال التالي كيف علمه؟ فيكون الجواب من خلال التكليم، ولكن كيف كان التكليم؟ هذه القضية

غيبية من عالم الغيب والشهادة من الله الخالق الذي قال في سورة الشورى آية (٥١). ﴿ *وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه عليم حكيم* ﴾.

إذن العقل والنقل وملاحظة العلماء تؤكد ضرورية التلقين المبكر للغة بأصوات ذات ترددات شبيهة بلغة البشر حتى ينشأ الإنسان قادراً على البيان، كل ذلك يجعل اللغة في هيكلها أو في جذورها توقيفية، وهي مع ذلك قابلة للامتداد والشكل الحر في الزمان والمكان وفقاً لحرية الإنسان المكلف المخير ولكن تبقى اللغة في جذورها في هيكلها وأساسها توفيقية بتعليم الله سبحانه.

خاتمة:

وقد يقول قائل: ما فائدة هذا الجهد الذي أدى إلى تلك النتيجة اليقينية في أصل اللغة؟ أرد أنه بالإضافة إلى ما سيكتسبه البيان البشري من قيمة عالية يصبح الخطاب الآلي للإنسان بديهة عقلية ويصبح الوحي حقيقة علمية لازمة من البداية (آدم) لإرساء قواعد لغة عالمية وعلوم أساسية بل ولازمة لمسيرة الإنسان بعد ذلك وفقاً لأطوار محددة بدقة نحو هدف سام وهو الوصول إلى الكمال البشري في مراحل لا تستغني عن البداية الأولى بل تأخذ بعضها بأعناق بعض من لدن آدم.

وبناء على ذلك، فإن العقل لا يستبعد نزول رسالات من السماء مع رسل للمتابعة والتعديل ولكن العقل يسأل هل الرسول حقيقي هل هو صادق في دعواه فيدل صدقه على صدق الرسالة ومن هناك كانت الرسل تؤيد بالمعجزات الحسية وأمور أخرى مصاحبة لها تدفع العقل للتفكر في الرسالة والاقتراب منها ومن ثم تصديقها وتنفيذها حتى انتهى المطاف برسالة خالدة محفوظة تحمل معجزتها فيها رسالة تليق بكمال البشرية العقلي.

إنه القرآن الكريم ، الرسالة الخالدة المحفوظة والعالمية والتي تحمل دليلها فيها وعلى العقل أن يسأل بحرية.

١ ـ هل القرآن وحي من الله للإنسان أم هو كلام بشر؟

٢ ـ هل هو الرسالة الوحيدة الخالدة المحفوظة أم هناك غيره؟

٣ ـ هل هو محلي أو عالمي؟

وللإجابة عن السؤال الأول على العقل أن يدرس النص وفقاً لأصول علمية محايدة.

وللإجابة عن السؤال الثاني عليه أن يدرس النص دراسة مقارنة مع غيره.

وللإجابة عن السؤال الثالث عليه أن يدرس النص وفقاً لاحتياجات الإنسان العقلية والنفسية والمادية على المستوى العالمي لنرى هل يقدم حلولاً موافقة ومقومة لهذه الاحتياجات بحيث تحقق التوازن بين روح الإنسان وماديته وبين الإنسان والمجتمع من حوله.

على أي حال كان تعليم آدم؟

والدراسات العلمية المحايدة بينت أن النص القرآني لا يمكن أن يكون من تأليف بشر فهو معجز في معانيه وبيانه وينطبق ذلك حتى على مستوى الحرف فيه وهو يخالف الجانب العقلي والعاطفي في الإنسان في توازن لا يمكن أن يأتي به بشر ولو اجتمعوا عليه بل ولقد أخبر عن الغيب فصدق ومن هذه الغيوب إشارات العلوم فيه والتي اشتملت على علوم من الذرة إلى المجرة علوم لم تكن معروفة عند نزول الوحي بل ولم يكن هناك حتى دليل ولو من بعيد عنها ثم دارت الأيام فإذا أدق وسائل التقنية تصور ما جاء القرآن وتؤكد صدق أخباره عن تلك الأخبار العلمية فمن أين جاء النبي الأمي بكل هذه العلوم؟

والدراسة المقارنة بينه وبين الكتب الأخرى بينت أنه الوحيد الخالي تمام من التناقض والاختلاف والتحريف والتصحيف المنزه للألوهية وللرسل

المكرمين والمتطابق في جميع نسخه في أي زمان ومكان. والدراسة العالمية بينت أنه يغطي على جميع جوانب الإنسان العقلية والنفسية والاجتماعية ويضع الحلول العالمية لمعاناة الإنسان في إطار من العدل بين أفراده وتحقيق التوازن بين الجانب المادي والروحي للإنسانية.

وهنا يقر العقل بأن كتاباً بهذه الإمكانيات ورسالة بهذه الصفة لا يمكن أن تكون من فعل بشر، بل إن العقل يصل يقيناً أنها من وحي خالق البشر العالم بأحوالهم وأسرارهم وما يصلح لهم.

تعقيب:

يعد البحث السابق دليلاً علمياً يقينياً على حتمية التكليم للإنسان من البداية، سواء من بدايته الأولى (آدم) أو من بدايته التالية بعد الولادة، حتى ينشأ البيان البشري الراقي، والبديل الوحيد لذلك هو البكم والتخلف العقلي، وهذا بالتالي يدل أيضاً على حتمية الوحي وأنه بديهة عقلية لأنه يشكل جزءاً لا يتجزأ من كيان الإنسان الراقي وبقيت قضية الشعر الجاهلي كمرجع يقاس عليه في قضية الإعجاز البياني للوحي تحتاج لمزيد من التعليق بأن اللغة كما بين علماؤها تمر بمراحل تبدأ بالطفولة ثم بقوتها ثم تنتهي باختلاطها وضعفها وهو منحنى معروف لعلماء اللغات بل إن ذلك المنحنى ينطبق على كل الكائنات الحية.

وفي حالة تحقيق الإعجاز البياني لا بد أن يكون الإسناد إلى قمة ما وصل إليه البيان ولأن القمة لا تكون دائماً فترة خاطفة بل تكون فترة ممتدة فهي بالنسبة للعربية شملت فترة من العصر الجاهلي وفترة من العصر الإسلامي ومن هذه الفترة جمع علماء اللغة بدقة وعلم وضبط مباني ومعاني اللغة ورسموا خطوط البيان وبينوا ذلك بدقة مراعين الأمانة العلمية حتى أصبحت أعمالهم قانوناً ومرجعاً صالحاً لكل زمان ومكان، وعلى هذا الأساس يكون القياس والإسناد.

لا بد من تكليمه لتعليمه

وعلى كل حال، فالإنسان هو الإنسان في أي مكان وزمان، ويحتكم إلى عامل مشترك العقل والعاطفة، فأي نص يخاطب العقل والعاطفة في توازن يوافق خلق الإنسان دون أن يخل بكفتي الميزان (العقل والعاطفة) يجب أن يوضع على مستوى القمة بغض عن الزمان والمكان فلو خاطب النص الإنساني بطريقة تحقق توازن يعجز عن الإتيان به فهذا نص معجز بيانياً فماذا لو كان النص معجزاً بكل المقاييس البيانية والعلمية والنفسية والاقتصادية وصالح للإنسان في أي زمان ومكان .. هنا يقف العقل ليقرر يقيناً أن هذا النص لا يمكن أن يكون من اختراع بشر بل لا بد وأن يكون وحياً من خالق الكون والبشر والعالم بأسرار خلقه .. هذا يقين أهل العرفان فما حجة المبطلين؟

---

* وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع:
www.quran-m.com

[١] – مدير مستشفى الصدر بجرجا . سوهاج.
[٢] – كتاب الصاحبي.
[٣] – كتاب الخصائص، أبي الفتح عثمان بن جني، الجزء الأول.
[٤] – نشأة اللغة عند الإنسان والطفل.
[٥] – انظر المرجع السابق.
[٦] – نشأة اللغة عند الإنسان والطفل دار النهضة.
[٧] – انظر مجلة العلوم الأمريكية المخ والعقل الأصل باللغة الإنجليزية، سبتمر سنة ١٩٩٢م.
[٨] – مجلة العلوم الأمريكية، عدد أكتوبر سنة ١٩٨٩م مجلد ٦ عدد ١٠ اللدونة في نمو الدماغ الأصل المترجم من إصدار الكويت.
[٩] – مجلة العلوم الأمريكية، ديسمبر سنة ١٩٨٩م عدد ١ إدراك الكلام في مرحلة الطفولة المبكرة، الأصل المترجم من إصدار الكويت.
[١٠] – صاحب البحث.

التحنيك يا أهل القرن الواحد والعشرين!

أ.صالح غلاييني[١]

تحت عنوان «جل السكر يساعد الأطفال الخدج» (ولادة مبكرة)، نشر باحثون من نيوزيلنده نتيجة أبحاثهم حول أهمية تحنيك الأطفال حديثي الولادة بهلام (معجون) سكري تداركاً لأخطار تصيب الدماغ بالتلف.

فمن أصل ١٥ مليون طفلاً يولدون قبل الأوان في العالم سنوياً، يتعرض واحد من كل عشرة منهم لأضرار دائمة بسبب نقص السكر في الدم.

نشر الباحثون أعمالهم في مجلة لانسيت[٢] مؤخراً، (٢٥ أيلول /سبتمبر ٢٠١٣)، وقد أجروا نتائج اختباراتهم بوضع ٢٤٢ طفلاً تحت رعايتهم وتبين لهم أن هذا العلاج يجب أن يتم قبل أية معالجة أخرى وبصورة مبكرة، ويقولون: «ينبغي أن يكون الآن علاج الخط الأول»..

طريقة العلاج:

تجنباً لتلف الدماغ يفرك هلام من سكر العنب في داخل الخد وهو وسيلة رخيصة وفعالة لا يزيد ثمنه على جنيه استرليني واحد للطفل الواحد وهي طريقة أبسط وأسرع من جرعات محلول الجلوكوز بطريقة التنقيط كما تقول البروفسورة جين هاردينغ وفريقها في جامعة أوكلاند.[٣]

ويقول د. نيل مارلو من معهد صحة المرأة في جامعة لندن (UCL)، أنه يجب اعتماد هذا الأمر كعلاج حقيقي ناجع بعد أن ثبت نجاحه وفعاليته بأدلة علمية قاطعة.

ويقول أندي كول، الرئيس التنفيذي لقسم الولادة المبكرة في مستشفى «بلس» الخيري، أن هذا العلاج سيخفف من إدخال عدد كبير من الأطفال إلى غرف العناية المركزة. وبالتالي سيخفف من نفقات المعالجة لعدد كبير من الأطفال. (إنتهى مقال بي بي سي).[٤]

هذا العلاج معروف في الإسلام ويدعى «تحنيك المولود»، وهي سنة متبعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتتطابق بشكل لافت مع نتائج الأبحاث الطبية الأخيرة، فالتحنيك في الإسلام يتم من التمر ومن الرطب بالتحديد وهو ألطف انواع التمر بسبب لزوجته وسهولة امتصاصه، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بأطفال الصحابة فيضع كلاً منهم في حجره ويضع بعض معجون الرطب على إصبعه ويدخله إلى فم المولود فيحنك لثته وداخل خده متيمناً بالقراءة والدعاء، ويحرص علماء المسلمين أن يكون هذا العلاج أول ما يدخل فم الرضيع من الطعام بعد لبن الأم وقبل أي طعام آخر.

وتحنيك المولود ثابت في كتب الصحاح بلا أدنى شك وافرد له علماء الحديث باباً يدعى «باب تحنيك المولود عند ولادته»، وفيما يأتي باقة من هذه الأحاديث:

فعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: كان رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤْتَى بِالصِّبْيَانِ فَيُبَرِّكُ عَلَيْهِمْ وَيُحَنِّكُهُمْ،.... [٥]

وعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «وُلِدَ لِي غُلَامٌ، فَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَمَّاهُ إِبْرَاهِيمَ، فَحَنَّكَهُ بِتَمْرَةٍ، وَدَعَا لَهُ بِالْبَرَكَةِ، وَدَفَعَهُ إِلَيَّ». [٦]

ولئن تعذر وجود الرطب الطري في موسمه كان عليه الصلاة والسلام يلوك التمرة بريقه الشريف حتى إذا لانت ادخلها في فم الرضيع.

فعَنْ أَنَس قَالَ: ذَهَبْتُ بِعَبْدِ اللَّه بْن أَبِي طَلْحَةَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ وُلِدَ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَبَاءَةٍ يَهْنَأُ بَعِيرًا لَهُ، فَقَالَ: «مَعَكَ تَمَرَاتٌ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، فَنَاوَلْتُهُ تَمَرَاتٍ فَلَاكَهُنَّ، ثُمَّ فَغَرَ فَا الصَّبِيِّ، وَأَوْجَرَهُنَّ إِيَّاهُ، فَتَلَمَّظَ الصَّبِيُّ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حُبَّ الْأَنْصَارِ التَّمْرَ»، وَسَمَّاهُ: عَبْدَاللَّه».(٧)

ولما حَمَلَتْ (أسماء بنت أبي بكر) بِعَبْدِ اللَّه بْن الزُّبَيْر، قَالَتْ: فَخَرَجْتُ وَأَنَا مُتِمٌّ فَأَتَيْتُ الْمَدِينَةَ فَنَزَلْتُ بِقُبَاءٍ فَوَلَدْتُهُ بِقُبَاءٍ، ثُمَّ أَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعْتُهُ فِي حَجْرِهِ، ثُمَّ «دَعَا بِتَمْرَةٍ فَمَضَغَهَا، ثُمَّ تَفَلَ فِي فِيهِ، فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ دَخَلَ جَوْفَهُ رِيقُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ حَنَّكَهُ بِتَمْرَةٍ ثُمَّ دَعَا لَهُ، وَبَرَّكَ عَلَيْهِ وَكَانَ أَوَّلَ مَوْلُودٍ وُلِدَ فِي الإِسْلَامِ». (٨)

وفي الختام نسأل من أين أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا العلم في عصر الجهل والجاهلية؟ إنه علم السماء من رب السماء أوحى به إلى عبده المصطفى، فقال تعالى: ﴿*وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى*﴾. صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم.

هل سنسمع بعد هذا الاكتشاف من يتحدث مستهزئاً عن سنة تحنيك المولود في الإسلام؟

وقانا الله من الجهل ومن ادعاء العلم بلا علم فهو قرين الغفلة والبعد عن الله.

---

(١) من أصدقاء منتدى الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في لبنان.

(٢) http://www.thelancet.com/journals/lancet/article/PIIS0140-6736(13)61645-1/abstract

(٣) http://www.ucl.ac.uk/news/headlines/0913/250913-sugar-gel-helps-premature-babies.

(٤) http://www.bbc.co.uk/news/health-24224206

(٥) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٣٧)، عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٦) صحيح البخاري (٧/ ٨٣) عن أبي موسى الأشعري، حديث متفق على صحته.

(٧) عن أنس في الأدب المفرد،[قال الشيخ الألباني] : صحيح.

(٨) صحيح البخاري (٥/ ٦٢) عَنْ أَسْمَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

« الإعجاز »

دينية علمية غير سياسية.
تبحث في إعجازَيْ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.
يساهم في إعدادها باحثون ومفكرون لبنانيون.
لا تتوخى الربح والاشتراك فيها مجاني.
ما على الراغبين بالحصول على نسخة منها سوى مراجعة
مركز المنتدى وتزويده باسم الشخص أو المؤسسة
وعدد النسخ المطلوبة مع ذكر العنوان ورقم الهاتف.

استوصوا بالنساء خيرًا

خالد حنون*

تحدثنا في العدد الثالث والعشرين من هذه المجلة الغراء عن تقليد بعض شبابنا وفتياتنا لعادات وأفعال مجتمعات غربية وغريبة عن الإسلام، شبراً بشبر، دونما تمحيص وتدقيق، واتضح لنا بعد البحث فيها وعنها بأنها عادات وأفعال قوم لوط. ونسلط الضوء اليوم في هذا المقال على ما تطالب به بعض الجهات في البلاد العربية والغربية باعطاء المرأة «حقوقها الكاملة» وسن قوانين تحميها من العنف الأسري والتحرش بها وصولاً لعدم تدخل الأهل في حياة أولادهم البالغين وهنا المصيبة الكبرى... [1]

ولعل أفضل بلد طبق القوانين التي ينادي بها أنصار «تحرير المرأة ووقف الإجحاف في حقها » هو الولايات المتحدة الأميركية، كونها أيضًا زعيمة العالم الغربي وحال مجتمعاتها يشابه إلى حد كبير حال المجتمعات الغربية الأخرى. لذا فاتخاذنا لها نموذجًا يمثل أغلب المجتمعات الغربية سيكون منصفًا لإجراء المقارنة .

القوانين الوضعية لم تمنع «العنف الأسري» في أمريكا

أجريت في الولايات المتحدة دراسة بينت أن خُمس النساء الأمريكيات يتعرضن للإغتصاب أومحاولة الإغتصاب . وتبين من الدراسة أن ربع النساء يتعرضن للإعتداء من شريك حياتهن . وتأتي هذه الدراسة كجزء من سلسلة دراسات تغطي كافة أجزاء الولايات المتحدة. وتفيد الدراسة أيضًا أن ٢٤ شخصًا يبلّغون كل دقيقة عن حالة إغتصاب أوعنف، وأنه جرى الإبلاغ عن ١٢ مليون حالة اعتداء. وخلصت الدراسة إلى أن حوالي ٨٠ في المئة من الذين تعرضوا للإغتصاب واجهوا ذلك قبل سن الخامسة والعشرين، بينما اغتصب ٣٥ في المئة من النساء قبل سن الثامنة عشر.

لم يصل إلى هذه النسب، ولله الحمد، اي بلد اسلامي في العالم – بالرغم من وجود بعض هذه المظاهرفي بعض البلدان، وبالرغم من عدم وجود قوانين لما يسمونه «حماية المرأة من العنف الأسري»– وذلك لأن الله ورسوله شددا على حسن التعامل مع المراة ولا يزال المسلمون يجدون صدى حديث نبيهم عليه افضل الصلاة والسلام حين اوصى امته في حجة الوداع بقوله:» استوصوا بالنساء خيرًا « .

الأمراض الجنسية مستشرية بين الفتيات الأمريكيات

وفي دراسة أخرى عن المدارس الثانوية في الولايات المتحدة تبين أنه في مدرسة حكومية واحدة في ولاية تنيسي في الجنوب الشرقي للبلاد يوجد ٩٠ طالبة إما في مرحلة الحمل أولديهن أطفال. ففي مدرسة فريزرفي مدينة ممفيس كبرى مدن الولاية يدرس حسب التقارير ٩٧٨ طالباً من بينهم ٥٠٨ من الإناث أي أن نسبة الحوامل ومن أصبحن أمهات تصل إلى ١٨٪ من عدد الفتيات. تقول إحدى خريجات المدرسة أليسيا ويليامسون تعقيباً على انتشار الحمل بين الطالبات إن ذلك ليس بالمشكلة الجديدة. ويأتي التقريرهذا في وقت تعد فيها لمدينة لمكافحة ظاهرة الحمل بين طالبات المرحلة الثانوية بالتعاون مع مؤسسة غير ربحية تعنى بشؤون الفتيات.

وتشيرمديرة تلك المؤسسة «ديبوراهيستر هاريسون»، أن معدل الحمل بين المراهقات في مدينة «ممفيس» يتراوح بين ١٥ إلى ٢٠٪ ،أما فيضاحية «فريزر» فقد وصلت النسبة إلى ٢٦٪، وقد ألقت بجزء من اللوم في ذلك على وسائل الإعلام التي عرضت مسلسلات تلفزيونية» كحامل في سن السادسة عشرة أوالأم المراهقة». [2]

وفي دراسة اوردتها «وكالة أنباء أمريكا إن أرابيك «أجريت على مراهقات أمريكيات بين أعمار ١٤ إلى ١٩

سنة بينت أن واحدة على الأقل من كل أربع فتيات في سن المراهقة مصابة بمرض جنسي معدي ووجدت الدراسة أن أكثر الأمراض انتشارًا بين الفتيات هو فيروس يسبب أمراض سرطان الحوض. وقال من قاموا بالدراسة في بيان صحفي إنها «تقدم أوضح صورة حتى الآن في الولايات المتحدة الأمريكية عن عبء الأمراض المعدية جنسيا على الفتيات في سن المراهقة».

الحل لضبط الفلتان الاخلاقي في المدارس البلغارية

لم تجد المدارس البلغارية المعروفة بصرامة نظامها في عهد الشيوعية إلا أن تفرض مجددًا قواعد الحشمة بعدما أصبحت المغازلة سائدة بين المراهقين في الأروقة وملابس الفتيات تزداد قصرًا. فصحيفة «٢٤ آورز» أشارت الى أن نظام بعض المدارس الثانوية قدنص على الآتي «ينبغي ألا يقوم الطلاب بسلوك حميم لافي الصفوف ولافي المدرسة».

وقدأعادالكثيرمن المدارس اعتماد الزي الموحد. وقال أحد المدرسين الذي يدعو إلى «حد أدنى من الحشمة» لوكالة فرانس برس إنه «من الصعب استقطاب انتباه الصبيان عندما تكون الفتيات في الصف بلباس غيرمحتشم» . (٣)

الحل لوقف التحرش في الاماكن العامة في الصين

من المعروف أن أكثر التحرشات تحصل إما في الأماكن العامة المزدحمة أو الأماكن شبه الخالية نسبيًا . لذا وعلى أثر ازدياد التحرشات في الصين في السنة الماضية لم تجد شبكة «قطارات الأنفاق شانغهاي ٢» ،إلا أن تنشر إعلانًا كتب فيه «الاحتشام او التحرش» مذيّلاً بصورة امرأة وهي مرتدية ملابس شبه شفافة، محذرةالفتيات من أن ارتداء أزياء مماثلة يجعلهن عرضة، ودون شك، للتحرش الجنسي.

وفي حديث لوكالة الأنباء الرسمية الصينية «شينخوا» قال شينكوانغ المسؤول بشركة المترو: «هدفنا تذكيرالمسافرين بارتداء أزياء لائقة في الأماكن العامة لتفادي المضايقات غيراللازمة.»

ورغم الحملة الشرسة التي تعرض لها إعلان شركة القطارات من بعض من يطالبون ويطالبن «بحرية المرأة والدفاع عن حقوقها «، إلا أن هناك من تعاطف معها ودعا للحشمة، وقال أحدهم: «من الطبيعي أن تستدعي هذه الأنواع من الأزياء التحرش الجنسي، تماماً كماتجذب القاذورات الحشرات.» (٤)

اخيرًا : في اوائل السنة الحالية ألغت وزيرة المرأة الفرنسية نجات بلقاسم مرسومًا أصدره مديرأمن باريس في عام ١٨٠٠ أي في عصر نابليون بونابرت، كان يمنع النساء منعًا باتًامن ارتداء البنطلون في الأماكن العامة.

وكان أحد رجال القانون في فرنسا قد اكتشف وجود هذاالنص القانوني الذي يحمل عنوان « مرسوم بمنع تنكرالنساء» ويعاقب من تخالفه بالحبس . الوزيرة الفرنسية نشرت مرسومًا بإلغاءالمرسوم السابق لخوفها من ظهور من يطالب بتطبيقه لتقع الفرنسيات تحت طائلة العقوبة (٥). هكذا كانوا في الماضي في الغرب يحرصون على مظهر المرأة وهكذا اصبح حالهم . وقديمًا قيل: (اذا ما متت ما شفت مين مات؟)، وهذه نتيجة تفلت المجتمعات وانحلالها تحت عنوان الحقوق الكاملة والحريات المطلقة. ولنا أن نناشد الأفراد والجماعات والجهات المسؤولة فنقول: «إستوصوا بالنساء خيرا».

---

* عضو الهيئة العامة لمنتدى الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في لبنان.

(١) http://www.bbc.co.uk/arabic/worldnews/2011/12/111215/us__women__rape.shtml

(٢) http://www.lebanonfiles.com/varieties__desc.php?id=6549

(٣) الخبر موجود على عدة مواقع في نفس العنوان: المدارس البلغاريةحظرالتنانيرالقصيرة والمغازلة.ومنها على سبيل المثال: http://www.lbcgroup.tv/news/4398/1109160718-lbci-news

(٤) http://arabic.cnn.com/2012/entertainment/6/27/fury.shanghadi.metro.warning.women.dress

(٥) انظر: موقع بوابة الأهرام – الأحد، ١٠ شباط ٢٠١٣

هل إدمان الإنترنت مرض نفسي؟*

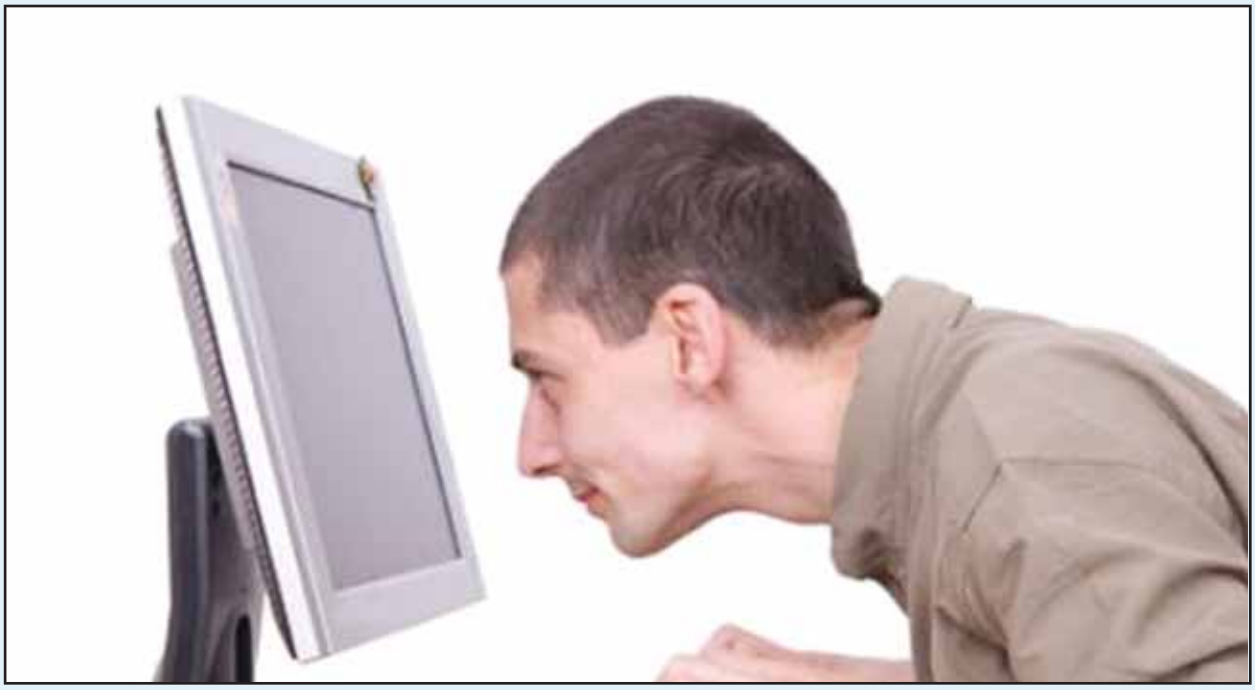

هل يشبه إدمان الانترنت إدمان الكحول أو المخدرات؟ ومتى يستوجب تدخّل المعالجين النفسيين؟

أكّدت المعالجة النفسية والأستاذة الجامعية الدكتورة كارول سعادة أنه «لا يُمكن اعتبار كلّ مستخدم للانترنت أو الهاتف الذكي مدمناً». موضحةً انّ «الانترنت لا يحتوي مثل الكحول أو المخدرات على مواد تسبب الادمان وتسرّعه». ولا يمكن إغفال إيجابيات الانترنت وحسناته في مضامير حياتية مختلفة، حيث انه «يسهّل التواصل بين الناس، ويساعد في البحث عن المعلومات»، إلّا أنّها حذّرت من طريقة استخدامه حالياً، حيث برزت مشكلة فعلية تعرف بالـcyber dependance أو ادمان الانترنت، والذي بدأ يصنّف عالمياً كمرض نفسي يؤدّي الى إضطرابات نفسية خطيرة، ويُشبّه الى حدّ بعيد إدمان الكحول أو المخدرات، وبالتالي بدأ المعالجون النفسيون درس عوارضه للبحث عن سبل لعلاجه».

عوارض نفسية وجسدية

وقسّمت سعادة عوارض ادمان الانترنت الى جسدية ونفسية، موضحة انّ «من العوارض الجسدية آلام الظهر والرأس والعيون، اضافة الى مشاكل في النوم تتمثّل بالقلق والأرق».

أمّا بالنسبة الى العوارض النفسية فهي تظهر من خلال:

١ – الفرح: شعور المدمن بالفرح والنشوة عندما يستخدم الانترنت.

٢ – التعلّق الشديد بالانترنت، حيث تبدأ ساعات تصفّح الصفحات الالكترونية تزداد تدريجاً حتى يصبح الفرد عاجزاً عن وقف استخدام الشبكة العنكبوتية.

٣ – الضياع: عندما يكون المدمن موجوداً في مكان لا يمكنه استخدام الانترنت فيه، نلاحظ أنه ينقصه شيء

أساسي تماماً كمن تنقطع عنه مادة الادمان (كالكحول أو المخدرات)، فيشعر بالقلق والاحباط والاكتئاب والتوتّر.

٤ – الانترنت أولوية: لا يمكن لمدمن الانترنت الاستغناء عنه، لأنه يصبح أولوية في حياته، وهذا ما يؤدّي الى تفضيله الانترنت على أصدقائه وأهله، فتنقطع علاقاته الاجتماعية ويعيش حالاً من الانزواء والانطواء.

٥ – الكذب: يكذب مدمن الانترنت عندما يتعلّق الامر بساعات استخدامه للشبكة العنكبوتية، فلا يقرّ بالوقت الحقيقي.

الى ذلك، حذّرت سعادة من تداعيات الادمان الخطيرة على الإنسان، مشددة على انّ «الانترنت قد يؤثر سلباً في الحياة الاجتماعية والعائلية والعملية، وفي الحياة المدرسية والجامعية لدى الطلاب، ويؤدي الى تراجع مستواهم العلمي، فعندما ينامون في وقت متأخّر يستيقظون في اليوم التالي من دون حماسة ونشاط، ما يفقدهم تركيزهم في الصفوف».

نماذج

أمّا عن الأشخاص المعرّضين أكثر للإصابة بإدمان الانترنت، فذكرت سعادة خصوصاً المراهقين والجامعيين. كذلك، ذكرت حالات أخرى يكون فيها الانسان معرّضاً الى الانجراف وراء الانترنت، وتكون شخصيته أرضاً خصبة للوقوع في هذا المرض ومنها: «الفشل العاطفي، والملل، والانزواء، والمعاناة من نبذ المجتمع، اضافة الى الخجل وفقدان الثقة بالنفس».

ومن الأسباب التي تدفع بالانسان الى الادمان على الانترنت هو أن «يكون محاطاً بعدد كبير من المدمنين»، ملاحظةً بأنّ الادمان يتجلّى أكثر عبر «مواقع التواصل الاجتماعي أو المواقع الجنسية، وليس عبر مواقع البحوث والدراسات».

الحلول لتتخلّص من خطر الادمان

قدّمت سعادة بعض النصائح المفيدة وأهمّها:

١ – الرقابة الذاتية: أي أن يساعد المدمن ذاته ليخلّص نفسه، من خلال عدم الاستسلام للمرض.

٢ – إتّخاذ القرار: يمكن للمدمن أن يساعد ذاته للتخلّص من إدمانه ما أن يتّخذ القرار في ذلك، فالادمان على الانترنت كغيره من أنواع الادمان يتطلّب إرادة قوية، وإقتناعاً مباشراً من المريض بوجوب تخلّصه منه.

٣ – الشفاء التدريجي: كأيّ مرض آخر أو إدمان آخر، يتطلّب الشفاء من إدمان الانترنت المرور بمراحل علاجية تدريجية والابتعاد عن مادة الادمان شيئاً فشيئاً، فيبدأ المدمن بالتقليل من ساعات إستخدامه للإنترنت.

٤ – العلاقات الاجتماعية: يمكن أن يتخطّى الانسان إدمانه من خلال إعادة بناء علاقاته الاجتماعية وحياته العملية والعاطفية، فيضع لنفسه هدفاً يسهل بلوغه.

ودعت سعادة أخيراً الأهل والمجتمع والاختصاصيين الى «البحث عن السبب الحقيقي الذي أدّى الى الادمان، ومعالجة المدمن على تخطّيه إذا فشل في معالجة نفسه بمفرده»، ناصحةً إيّاهم بالتوجّه الى إختصاصيين يعالجونه معرفياً وسلوكياً «فيتمكّن أوّلاً من إكتشاف أهمية الانترنت في حياته وما يعنيه له، ثمّ يعمد الى التخلّص من المرض على مراحل».

تخلّص من إدمان النت في عشرة أيّام[1]

للمرّة الأولى في العالم، افتتح قسم متخصص بعلاج الإدمان على الإنترنت في مركز «برادفورد» الطبي في ولاية بنسلفانيا الأميركية. يضم القسم أربعة أسرة فقط لأنّ طريقة العلاج تستوجب وجود ٤ «مرضى» في الوقت نفسه، فيما يستغرق ١٠ أيام يتم في الثلاثة الأولى منها «التخلص من السموم الرقمية» ثمّ يخصص الأسبوع التالي لـ«حصص نفسيّة». وفي حديث لـ«فوكس نيوز»، توّقعت صاحبة الفكرة وأستاذة علم النفس في «جامعة بونافونتور» كيمبرلي يونغ أن تُزال علامات الإدمان بالطريقة نفسها التي تطبّق على مدمني المخدرات والعقاقير.

---

* نقلاً عن مقال في جريدة الجمهورية للأستاذة كارول سعادة بتاريخ ٢٠١٣/٩/١٠ (بتصرف).

(١) الاخبار العدد ٢١٠٠ الثلاثاء ١٠ أيلول ٢٠١٣.

أهمية القيلولة*

مقدمة

نسمع كثيراً عن أهمّية القيلولة في حياتنا، خصوصاً بعد الغداء. وقد أثبتت الدراسات أنّها تساعد الموظّف على استرجاع نشاطه البدني والذهني ليتمكّن من إكمال عمله بنشاط، ولذلك فإنّ شركات كثيرة باتت تدرج في نظامها الداخلي بنداً يتيح لموظّفيها الحصول على قسط من الراحة، حتّى إن بعضها عمد إلى تجهيز غرفة خاصّة بالقيلولة.

ولكن هل نعلم أنّ القيلولة أنواع!

فما هي؟ وما هو النوع الأنسب؟

إتّكلَ عباقرة كثيرون، طبعوا لمساتهم الخاصّة في التاريخ، على القيلولة ليُكملوا نهارهم بنشاط وحيوية، ومنهم نابوليون، آينشتاين، ليوناردو دا فينشي وبيكاسو. وقد أظهر استطلاع شمل الأشخاص الذين تتراوح أعمارهم بين الـ٢٥ والـ٤٠ سنة، أنّ «النوم أقلّ من ٩٠ دقيقة أي ما يعادل الساعة والنصف خلال النهار يُعيد النشاط إلى الجسم والذهن».

«فالقيلولة مهمّة جدّاً، خصوصاً لأولئك الذين يعانون نقصاً في النوم»، وفقَ ما أكّدت خبيرة النوم في مركز النوم واليقظة في جامعة «أوتيل-ديو» في فرنسا، بريس فارو التي ميّزت بين أنواع القيلولة، مُبيّنةً أهمّية كلّ منها.

بين ٢٠ و٣٠ دقيقة

أوضحت فارو أنّه «يُخالجنا جميعاً خلال النهار شعور قويّ بالنعاس، إلاّ أنّه يقوى بين الظهر والساعة الرابعة من بعد الظهر»، مؤكّدةً أنّ سبب النعاس لا يعود إلى سوء الهضم، مثلما هو شائع، بل إلى المكان الذي نجلس فيه.

وقالت: «حتّى لو لم نتناول الغداء، وجلسنا في مكان هادئ، سنلاحظ أنّنا بدأنا التثاؤب، وأنّ عيوننا تغمض بطريقة غير إرادية». ودعت الجميع إلى الحصول على قيلولة لمدّة نصف ساعة، تكون كافية لإعادة شحن الطاقة الداخلية للإنسان، حيث بيّنت الدراسات أنّ إنتاجية الموظّفين ازدادت بعد حصولهم على ٣٠ دقيقة من النوم، ذلك أنّ القيلولة تحسّن الأداء المعرفي، والقدرة على التركيز، ناهيك عن المزاج.

٥ دقائق

«٥ دقائق تكفيني لأرتاح وأسترجع طاقتي التي فقدتها خلال النهار». كثيراً ما نسمع هذه العبارة تتردّد على أفواه عدد كبير من الأشخاص. وقد أثبتت الدراسات العلمية أنّ الإنسان الذي لا يملك وقتاً طويلاً للراحة، يكتفي ببضع دقائق من الاسترخاء وتكون مفيدة جدّاً له، ذلك أنّ هورمون الكورتيزول الذي يُعتبر مؤشّر الإجهاد، ينخفض بسرعة بعد الحصول على قسط قليل جدّاً من الراحة.

أمّا أكثر من يمارسون القيلولة القصيرة ويلجؤون إليها في اعتبارها وسيلةً تضمن إسترجاع النشاط والطاقة، فهم اليابانيّون الذين يقطعون مسافات كثيرة ويعملون ساعات طويلة ومكثّفة. ومنهم من يحصلون على هذه القيلولة في مكاتبهم، لأنّها تخفّف نسبة الإجهاد وتساعد في تحسين معدّل التركيز.

بين الـ٨٠ والـ١٠٠ دقيقة

حتّى لو كنت تحبّ الحصول على قيلولة طويلة، إلاّ أنّ عليك عدم تجاوز الـ٨٠ دقيقة من

النوم خلال النهار، لأنّ تجاوز هذه المدّة يدخلك بما يسمّى بـ«القصور الذاتي للنوم»، وهي ظاهرة فيزيولوجية تترافق مع شعور بالخدر والدوار والخلط بين الأمور، وصعوبة في الاستيقاظ. ولكنّ عوارض القيلولة الطويلة السلبية لا تلغي منافعها، خصوصاً بالنسبة الى الأشخاص الذين يعملون ساعات طويلة ومكثّفة ويكونون مضطرّين إلى القيادة ليلاً.

فقد أكّدت دراسة يونانية شملت ٢٣٠٠٠ موظّف تتراوح أعمارهم بين الـ٣٠ والـ٥٠ سنة ويعانون نقصاً في النوم، أنّ حصولهم على قيلولة تتراوح بين ٣٠ دقيقة وساعة يوميّاً، تُخفّض لديهم معدّل الموت. وإذا كنت من محبّي القيلولة الطويلة، حاول الحدّ منها لكي لا تعوق نومك أثناء الليل.

صُوَر

عندما نحصل على قيلولة قصيرة تتراوح بين الـ٥ دقائق والنصف ساعة، فإننا لا نحلم، لأنّنا نكون قد دخلنا في مرحلة النوم الخفيف وليس العميق، إلاّ أنّنا نشعر كأنّ أحلاماً كثيرة راودتنا، فما هو السرّ وراء هذا الشعور؟ «إنّها ليست أحلاماً» على حدّ تعبير فارو، بل «رؤى وصُوَر جميلة خلاّقة تمتّ إلى الحقيقة». (انتهى المقال).

قال النبي صلى الله وسلم : «قيلوا، فإن الشياطين لا تقيل[1].

وعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: « كُنَّا نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجُمُعَةَ، ثُمَّ نَرْجِعُ فَنَقِيلُ »، اخرجه الإمام أحمد.

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: «كُنَّا نُبَكِّرُ بِالْجُمُعَةِ وَنَقِيلُ بَعْدَ الْجُمُعَةِ» أخرجه البخاري.

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اسْتَعِينُوا بِرُقَادِ النَّهَارِ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ، وَاسْتَعِينُوا بِأَكْلَةِ السَّحَرِ عَلَى صِيَامِ النَّهَارِ» . رواه ابن ماجه وابن خزيمة والطبراني في الكبير والبيهقي في الآداب.

فمن علّم النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الهدي الذي لم يعلم الغرب فوائده إلا بعد ١٤٠٠ سنة من إخبار النبي صلى الله عليه وسلم عنه.

---

* نقلاً عن جريدة الجمهورية (بتصرف) ٢٠١٣/٨/٢٦.

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط و أبو نعيم في الطب عن أنس تصحيح السيوطي: حسن، كما حسنه الألباني (صحيح الجامع الصغير ٤٤٣١). معاني الألفاظ: قال الجوهري: هي النوم في الظهيرة. والمعروف أنه من شروطها أن تكون قصيرة.

إضمن نسختك القادمة من «الإعجاز»

إذا كانت مجلة «الإعجاز» لا تصلكم بواسطة البريد Liban Post ، ولكي نضمن وصول الأعداد القادمة إليكم يرجى تزويدنا بعنوانكم كاملاً وواضحًا.

يمكن إرسال العنوان بالفاكس أو عبر الإنترنت أو بالبريد العادي على عناوين منتدى الإعجاز المطبوعة في المجلة.

Medina Charter of Prophet Muhammad and Pluralism

*By: Sean William White**

The clash of civilizations, cultures, tribes, and religions seems to be prevalent throughout all of history. At the same time, history reveals simultaneous conflict and efforts to resolve tensions and division feeding animosity through mediation, diplomacy, and dialogue. Many conflicts seem too complicated for an agreement to be established on just one point, whether or not the conflict revolves around territory, religion, or ethnic discrimination. So what approach is best to mediate issues in a contemporary world that seems to be driven by economics, natural resources, and ethnic or religious ideologies? The Medina Charter serves as an example of finding resolve in a dispute where peace and pluralism were achieved not through military successes or ulterior motives but rather through respect, acceptance, and denunciation of war - aspects that reflect some of the basic tenets of the religion Prophet Muhammad, peace be upon him, was guiding and promoting. Through an examination of the Medina Charter, I will show how pluralism was advanced and instated in Medina and the reasons reflecting on such a document could help avoid the divide and misunderstanding plaguing much thought, rhetoric, and media today between Muslims, Christians, and Jews all over the world.

When the Prophet was forced to immigrate to Medina, the population was «a mixture» (akhlat) of many different tribes (predominantly Arabic and Jewish), who had been fighting for nearly a century, causing «civil strife,» and it was for this reason that the Prophet was summoned there (Peters 1994, 4). Tribal fighting and a lack of governance in Medina (known as Yathrib) meant disputes were dealt with «by the blade» on many occasions, which deepened the divides and fueled conflicts. Karen Armstrong explains aptly the mentality and workings of the tribal system dispersed through war-torn Arabia, where the Prophet was striving for peace (Armstrong 2006, 19). «The tribe, not a deity, was of supreme value, and each member had to subordinate his or her personal needs and desires to the well-being of the group and to fight to the death, if necessary, to ensure its survival» (Armstrong 2006, 24). Such a system was, in a political sense, representative of the little cooperation between the tribes in the Yathrib. In this region reigned power hungry strategies, an emphasis on arms and strength in military, and a belief that clearly mediation was unachievable except by a trustworthy outsider who had no connections to the issues or the tribes. Not only did the Prophet fit these prerequisites, but his personal ambition as given to him by God was also one of spreading peace and unity, creating a community, or ummah, made up of diverse groups, through the teachings of the Quran and in the name of Islam.

The Quran states that the Lord «teaches by the pen» (96:1-5). This is indicative of the Medina Charter in that it is a reflection of these verses, which show that God is educating people and changing thought patterns through discussion. In this case, the discussion resulted in peace achieved through contemplation and through seeking agreements in which tribes felt they had benefited from the charter and had not been robbed of status or unresolved antagonism from the past. «Many Islamic rituals, philosophies, doctrines, [different interpretations of] sacred

texts, and shrines are the result of frequently anguished and self-critical contemplation of the political events in Islamic society» (Armstrong 2006, 14). Islam places great emphasis on reason - the reasoning of the universe, of life, and indeed, of religion too. Al-Ghazzali (1058-1111) said, «Doubt is to find truth. Those who do not have doubt cannot think. Those who cannot think, cannot find truth.» Although this quote is more in reference to the philosophical side of Islam, it reverberates from the heart of reason - something that is central to Islam. Yetkin Yildirim writes about the use of one's own knowledge and the absolute approach of reason. If the answer is neither in the Quran, Sunnah, or Hadith, then one's own reasoning or ijtihad is required (Yildirim 2006, 109-117). So the Prophet, through the Medina Charter, was practicing Islam through action. For with reason, discussion, and contemplation, a peace treaty was created.

The mere formation of the Charter and peace were tremendous feats, and the content of the Charter itself reflects this magnitude. The formation of an ummah through respect and acceptance resulting in pluralism shows us one of the ways in which the Prophet combated jahiliyyah, or ignorance - the state of mind causing violence and terror (Armstrong 2006, 19). Examining some of the clauses in the Charter also shows how the Prophet managed to take leadership and create a lasting peace. The first clause, «They are a single community (ummah),» (Sajoo 2009, 94) depicts the ultimate message and goal of the rest of the charter. It marked the creation of a community, and the Charter served as a unifying document in a city of diverse groups, cultures, religions, and languages. The Prophet came to Medina with tolerance - an aspect of Islam which is fundamental to the manner in which the religion operates in foreign lands. «It is for this tolerance in the Islamic view that Muslims have looked at the religion of the people in the lands they conquered with respect; they did not intervene with their beliefs nor touch their churches» (Can 2005, 172). Clause 25 epitomizes the level of tolerance in the charter and also serves as an example of Islam in practice. «The Jews ... are a community (ummah) along with the believers. To the Jews their religion (din) and to the Muslims their religion» (Sajoo 2009, 96) This statement ties in with the verse from the Quran (2:256) which says, «There is no compulsion in religion.» For in the eyes of God, as it says in the Quran «... those who believe ... Jews, Christians, and Sabaeans ... and does right - surely their reward is with their Lord» (2:62).

The Medina Charter reflects pluralism both in the content and in the history of the document. F. E. Peters explains that «the contracting parties, although they did not embrace Islam, did recognize the Prophet's authority, accepting him as the community leader and abiding by his political judgments» (Peters 1994, 199). As there is no account of an uprising in history books and because the Prophet was there at the suggestion of the tribes, we know that he was never rejected. Because of the laws he introduced, the existing groups clearly did not feel threatened by his new presence or his new governance. The society was pluralistic, and it was not repressive. The Prophet - as clause 25 shows - never imposed Islam upon the people of Medina, which meant that they could still practice without disruption their religions and customs, aspects of life that were important to them. He did not create an ummah through denouncing all ways of life except for Islam or by recognizing Islam as the singular religion; instead he united all inhabitants of the city under one banner of ethical living and moral principles - commonalities between all humans and all religions.

The Prophet drew upon the essence of unity, respect, tolerance, and love to combine and create a pluralistic community. Clause 40 exemplifies this: «The "protected neighbor" (jar) is as the man himself so long as he does no harm and does not act treacherously» (Sajoo 2009, 97). People were safe and respected

and free to exert their beliefs and would be protected in doing so. This protection, however, could not shield them from treachery or wrong doing.

The Medina Charter is arguably the first constitution ever written incorporating religion and politics (Yildirim 2006, 109-117). And even though the politics of the region have changed since it was written - in recent times for the worst - Islam's values have continued to spread and are lived throughout the whole Muslim world. Despite the hold of power that some governments still have over their people, the true face of Islam shines through in how people live, communicate, and approach life. I speak from personal experiences when I traveled through Iran, Turkey, and Northern Iraq in January, 2009. And despite what the media had to say about the people in those lands, my time there was spent in the houses of complete strangers, who showered me with hospitality that transcended any I had experienced before. Although the governing body has changed, the points of the Medina Charter and tenets of Islam preached by Prophet Muhammad still exist amongst the people. My heritage was accepted with curiosity and respect - just as the Prophet implemented in Medina between the tribes. My place in the society was welcomed with honest enthusiasm, and I felt a part of a community - like the community that Prophet implemented in Medina. I was exposed to mainstream Islam, which we hear so little about in the West due to the confusion which unjustly joins Islam and extremism together. I saw tolerant Muslims who saw me as another person who wanted peace and respect - not treachery. This is what the Prophet also accomplished in Medina - a community which was not based upon religion or ethnicity but one built on unity and acceptance. One built on tolerance. One built on peace. It seems the Prophet was aware that spirituality and faith cannot be governed, and for this reason alone, he sought unity and respect as opposed to discriminating between tribes and their beliefs.

In contemporary times, an analysis of the Medina Charter can give us insight into Islam and religious pluralism (Sachedina 2001). Medina marked the first real occurrence of coexistence between religions and groups in Islam and mirrors the Quran which «in its entirety provides ample material for extrapolating a pluralistic and inclusive theology of religions» (Sachedina 2001, 26). The Quran is the unquestionable and the absolute; therefore, it is the key to understanding religious pluralism in Islam. Clause 39 of the Medina Charter says, «The valley of Yathrib is sacred for the people of this document» (Sajoo 2009, 97). And so too is the universe, which is sacred to all of humanity. The Quran reveals that «the people are one community» (2:213), so if we are one (which we are) in the world, in the universe, then regardless of religion, it is God's mercy and compassion which will save us. By differentiating between beliefs, we neglect that under one sun we all pray to a greater entity, a greater being. We were all created by God, so unity seems imperative and practical.

The Medina Charter is very relevant to current tensions existing between the Muslims, Jews, and Christians. Unfortunately, it seems that ignorance and fear, suspicion and disrespect plague the interaction and stereotypes that exist between these three great Abrahamic religions. In the post-September 11th era, a new wave of antagonism has arisen, and people around the Western world generally fear Islam. Sadly, people confuse the actions of nationalists and fundamentalists, who so unjustly hide behind a Holy Book claiming that their intentions are those of God, with what the actual religion promotes. As Rumi believed, the essence of all religions is the same, for they all teach love. The deep philosophical and even deeper spiritual teaching of Rumi is based on a state of mind that seeks mutual vision and dialogue, which I hope will be achieved one day, breaking down the polarized world of different religious thought. Another verse of the Quran emphasizes

this need for dialogue, unity, and tolerance: «Surely this community of yours is one community, and I am your Lord; so worship Me» (21:92).

The Prophet's actions in Medina prompt us to use reason in our approach to the wide, diverse beliefs of the world - from Europe to Asia, North, Central, and South America to Africa and everything in between. It prompts us to understand how «the spiritual space of the Quran [...] was shared by other religions» (Sachedina 2001, 23). Such an understanding reveals that Islam is a monotheistic religion that respects the rights of other faiths (Stewart 1994, 207). In a globalized world where we are connected so easily, unlike any other period in history, our mutual understanding of one another and our beliefs are the most important means to achieve peace and stability. It is in a contemporary sense, in a globalized world, that the Medina Charter is of such necessity. Inter-religious discussions took place with the Prophet in Medina, for Boase writes about a time when Christians performed their prayers in a mosque after a meeting with the Prophet during their visit (Boase 2005, 252). We can learn how in every country, a community, an ummah, is the single most effective way to produce a pluralistic state. The Medina Charter was a fusion of attributes which all world religions teach: peace, love, freedom, acceptance, and tolerance - resulting in stability.

Peace was achieved in Medina, not through the might of arms or the scale of wealth, but through the unyielding principles of Islam - tolerance, love, reason, and a belief in God - whether the God in the Bible, the Quran, or the Torah. The Medina Charter, arguably the first charter ever written, shows that Islam rejects the use of compulsion in religion and violence and that over centuries of human existence, the most effective way to resolve conflicts comes through mediation. The Medina Charter is an example that should be discussed and referred to in current conflicts.

The creation of a community, or ummah, offers pluralism to everyone. For people are not judged on their beliefs, but on their actions. Persecution is the instigator of all tensions, and reason and tolerance is the essence of all peace. Just as in the streets of Medina, through tolerance and respect, we too may one day have a world-wide ummah, where a passing Christian will say, «Peace be upon you» to a Muslim, who will reply, «Peace be upon you too.»

** Sean William White has a degree in Islamic history from Monash University, Melbourne. Complete article is found on the web site www.IslamiCity.com. Article Ref: IC1102-4508. Source: The Fountain Magazine.*

***References**:*

- *Armstrong, Karen. 2006. Muhammad: A Prophet for Our Time, New York: HarperCollins.*
- *Can, Sefik. 2005. Fundamentals of Rumi>s Thought, New Jersey: The Light, Inc.*
- *Lecker, Michael. «Waqidi>s Account on the Status of the Jews of Medina: A Study of a Combined Report,» in Uri Rubin (ed), The Life of Muhammad, Great Yarmouth, 1998.*
- *Peters, F. E. 1994. Muhammad and the Origins of Islam, New York: SUNY.*
- *Ramadan, Tariq. 2007. The Messenger: The Meanings of the Life of Muhammad, London: Allen Lane.*
- *Boase, Roger. Ecumenical Islam: A Muslim Response to Religious Pluralism, in Roger Boase (ed.). 2005.*
- *Islam and Global Dialogue, England, Ashgate.*
- *Sachedina, Abdulaziz. 2001. The Islamic Roots of Democratic Pluralism, New York: OUP.*
- *Saeed, Abdullah. 2006. Islamic Thought: An Introduction, UK: Routledge.*
- *Sajoo, Amyn B. 2009. Muslim Ethics: Emerging Vistas, London: Institute for Ismaili Studies.*
- *Stewart, P. J. Unfolding Islam, Lebanon, 1994.*
- *Yildirim, Yetkin. «Peace and Conflict Resolution in the Medina Charter,» Peace Review, UK: Routledge, Vol. 18, Issue 1. January 2006.*

***Notes**:*

1. *Muhammad B. Waqidi, <Umar al-Waqidi. Kitab al maghazi. Ed. M. Jones. London, 1966, as taken from: Michael Lecker, <Waqidi>s Account on the Status of the Jews of Medina: A Study of a Combined Report>, in Uri Rubin (ed), The Life of Muhammad, Great Yarmouth, 1998, p. 23.*
2. *www.ghazali.org*

عودة إلى الأيام الخوالي

د. محمد فرشوخ

بعد صلاة الفجر وقبيل التهليل والتكبير لصلاة عيد الأضحى، كان الجو مشبعاً بروحانية العيد وقد أضفى حضور الحكيم على طلابه بهجةً وحماسةً وسرورا، وبعد تهامس بين الحاج بسام وبين إمام المسجد، إقترب الإمام من الحكيم واستأذن لأخي بالكلام فوقف وقال:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أكمل الخلق، وحبيب الحق، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. سيدي المربي، أيها الإخوة الكرام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

بادأ الله تعالى نبينا بالحب قبل أن يخلق آدم، فقرن إسمه بإسمه، ليعرفنا قدر رسول الله عنده، فلا تذكر لا إله إلا الله إلا ومعها محمد رسول الله. حتى أن قريشاً المعادية شهدت لرسول الله بحب الله، «والفضل ما شهدت به الأعداءُ»، فقالت: «محمدٌ عشق ربه».

كذلك منّ الله علينا أن جعلنا من أمته، وهدانا لطريقته وسنته، والحب لرسول الله إتبا ع له، لقول الله تعالى : ﴿ *قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله . .* ﴾ . وقال عليه الصلاة والسلام: « لا إيمان لمن لا محبة له»، ولذلك اتبع الصحابة رسول الله وهو أستاذ الحب والرحمة الذي من شدة إهتمامه بصحابته وحرصه عليهم جعل كل واحد منهم يشعر بأنه أحب الناس إلى قلب رسول الله، وحتى إذا دارت رحى المعارك، كان أحدهم يذود عن رسول الله ويجود بنفسه دونه ويقول له: « صدري لصدرك وقاء وروحي لروحك فداء». فالمحبة والصحبة والهجرة إلى الله ورسوله ووارثه من بعده فرض.

سيدي المربي:

للهداية أسبابها، ومنها صحبة الولي المرشد، لقوله تعالى: ﴿ *ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا . .* ﴾ . وكما أن العقول تتلاقح بالعلم فإن الأرواح تتلاقح بحب الله ورسوله. والأماكن تتشرف بمن كان له عند الله شرف. فمن تشرف بعبادة الله والإخلاص له الله شرَّفه الله بصفة حميدة، كقوله تعالى في الكتاب الكريم: ﴿ *عبادًا لنا* ﴾ أو ﴿ *عبدًا من عبادنا* ﴾، والكعبة تشرفت بجهد إبراهيم الخليل، كما تشرفت المدينة المنورة برسول الله صلى الله عليه وسلم، وكما تتشرف المساجد بجهود الدعاة فيها رحمات الله عليهم أجمعين.

أما نحن فقد شرفنا الله تعالى بنسبتنا إليكم، فنسأل الله أن يثبتنا على صحبتكم، ومن فاته فرض قضاه وأما من فاتته الصحبة فلا قضاء لها. ومن فضل الله علينا، أن تعرفنا على العارف بالله، وهو الإمام الجامع، الذي يجمع القلوب على الله، وهو المهندس البنّاء لإسلامنا، وهو الطبيب المداوي لأمراض قلوبنا ونفوسنا، وهو المعلم بأعماله وحاله، وإمامنا وقدوتنا، وحب الشيخ هو من أبواب الوصول لحب الله ورسوله، والمريد الصادق لا يرتاح حتى يصبح مراداً بعد أن كان مريدا. وفي المحب تسري صفات حبيبه ومن سرى سِرّكم فيه تغير حاله ليكون كالشجرة عندما حولوا خشبها إلى ناعورة، فقالت بلسان حالها : -أيها السائل عني -قد سلبوا اللب مني -كنت أُسقى وأُغنَّى -صرت أسقي وأغني .

وقال عليه الصلاة والسلام: أنتم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيينص، وأنتم سيدي حظنا من الشيوخ ونحن حظكم من المحبين، فأنتم أهل التربية والتوجيه والأدب، بشهادة شيوخكم الذين أعطوكم الإذن بذلك وقد جعلتم من

الأدب والحب مذهبا، وفضلكم يشمل الخاص والعام، وعن مثلكم قال الشاعر :

لا تنكر النفحات إن هي أسرعت
من مرشد هاد لقلب مريده
سر الشيوخ إذا سرت أنفاسه
شملت فؤاد قريبه و بعيده

وعلّمنا رسول الله أن نسأل الله حبه، وحب من يحبه، وحب الأعمال التي توصلنا وتقربنا إلى حبه، والحب شعبة من شعب الإيمان، وبه تبدأ التزكية، وعليه تبنى الأخلاق، ووجبت محبة الله للمتحابين في جلاله، وهو قوله تعالى: يحبهم ويحبونه، ومن حرص النبي على دين عمر رضي الله عنه، أراد تعليمه فسأله يوماً: « كيف أصبح حبك لي يا عمر؟»، وبفعل الحب ترك الصحابة بيوتهم وهجروا أهليهم وأموالهم بمكة، والتحقوا بالمعلم ومنهم صهيب الرومي، فاستقبله رسول الله بالمدينة قائلا له : ربح البيع أبا يحيى!.

ذلك لأن البقاء لا يقارن بالفناء، وحب الله ورسوله لا يقارن بالدنيا وما فيها، لأنه من أكمل عطاء الله للمؤمن في الدنيا كما في الآخرة. وها هو سلمان الفارسي قد نال بحبه شهادةً من رسول الله بقوله صلى الله عليه وسلم: «سلمان منا آل البيت»، كما نال سيدنا أبو بكر الصديق شهادة الصحبة من الله بقوله تعالى : ﴿***إذ يقول لصاحبه لا تحزن***﴾. وقد دفن هو وعمر بجوار من أحبا ليكون ذلك دلالة على أن صحبة الدنيا متصلةٌ بالآخرة لمن وفى بعهده وبيعته.

وها هو يعقوب عليه السلام فقد بصره على فراق من يحب، فردّ الله له بصره بقميص وأثر حبيبه، والمحب أيضا يشم رائحة حبيبه، مهما بعدت المسافة، فما أن فصلت العير من مصر حتى قال سيدنا يعقوب من فلسطين: ﴿***إني لأجد ريح يوسف***﴾. فبُعد المكان أو الزمان لا يحجب المحب عن الحبيب، ولو حبسه العذر فالقلوب متصلة بمن تحب، وهكذا كان حال التابعي أويس القرني مع النبي صلى الله عليه وسلم رغم أنه لم يره بعين رأسه، والمحب في وصال دائم مع حبيبه قال الشاعر :

ومن عجبٍ أني أحن إليهمُ
وأسأل عنهم من لقيت وهم معي
وتبكيهمُ عيني وهم في سوادها
ويشكو النوى قلبي وهم بين أضلعي

وسيدنا موسى وهو كليم الله ما اكتفى، من شدة حبه بكلام من يحب، فطلب أن يراه فصعق بعد تجلي الله على الجبل. ثم استفاق وبقي الجبل دكا، وهذا حال المحبين فهم في حفظ حبيبهم وكنفه.

نسأل الله أن يهدينا ويهدي بنا، وأن يعطيكم سؤلكم، وأن يعينكم على هداية الناس، وأن يجعلنا عونا لكم وأن لا يضيع تعبكم فينا، وها نحن سيدي جئناكم بالعيد نمتع أبصارنا برؤيتكم وترتوي قلوبنا من إمدادكم، ونطلب رضاكم ونسألكم عما يدخل السرور على قلبكم، وأختم بقول الشاعر:

لإن اكتفى غيري بطيف خيالكم
فأنا الذي بوصالكم لا أكتفي
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إنتهت كلمة الخطيب، وكم كانٍ بودي أن أصف المشاعر الطيبة والابتسامات الراضية والوجوه المشرقة، والمهم أن عدداً من الحاضرين عاش ساعة تشبه الأيام الخوالي حين كانت تربية المؤمنين رسالة واتباعهم للحكماء غاية وأية غاية.

جامعة الآداب والعلوم والتكنولوجيا في لبنان
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم الدراسات الإسلامية

حصّل شهادة بكالوريوس في العلوم الدينية

بترخيص من
وزارة التربية والتعليم العالي في لبنان
و بمرسوم رقم ٦٧٤/م/تاريخ ٢٠٠٧/٨/٢٨

مدة الدراسة	لغة التدريس	نظام التدريس	عدد الأرصدة	مواعيد المحاضرات
ثلاث سنوات	العربية	أرصدة فصلية	100	بعد الظهر

حضور المحاضرات في كافة فروع الجامعة في كافة المحافظات

- شروط الانتساب شهادة بكالوريا –القسم الثاني أو ما يعادلها، مصدّقة
- تخفيض الأقساط: للطلبة المتفوقين –للطلبة المستحقين – مقابل أعمال إدارية في الجامعة
- يمكن للطالب على إثرها:
تحصيل إجازة تعليمية او تحصيل بكالوريوس ثانية في اللغة العربية بإعفائه من الأرصدة المشتركة.

المواد الرئيسية :

– علوم القرآن الكريم	– الصرف والنحو والبلاغة	– فقه الدعوة	– علم النفس التربوي
– علوم الحديث	– العقيدة	– الفقه المقارن	– الخطابة
– التفسير	– السيرة النبوية	– التشريع والمواريث	– الإعجاز العلمي
– أصول الفقه	– التاريخ الإسلامي	– فقه العقود المالية	– ترجمة وتعريب – تقنيات استعمال الحاسوب

التنمية والتأهيل

- الثقافة الدينية الضرورية لمتابعة الرسالة ولفهم متطلبات العصر.
- الأهلية لإمامة المسجد ولإلقاء الخطب في المسجد وفي الاحتفالات العامة.
- الوعظ في حلق المسجد والمدارس والمنتديات.
- إكتساب فن التواصل وتقدير المواقف التي تواجهه والقدرة على الإقناع.
- إتقان أساليب الدعوة إلى الله، وحسن اختيار العبرة والعبارة.
- تعليم الأحكام الشرعية وتصحيح الأخطاء الشائعة في العبادات وخاصة في الصلاة.
- تحصيل الكفاءة اللازمة لملء مختلف الوظائف الدينية المطروحة.
- إظهار الدين بالمظهر اللائق وتعريف الناس بالإسلام وبما يتناسب مع العصر والحالات الراهنة.

عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية

بموازرة مجموعة مختارة من الأساتذة من ذوي الخبرة والكفاءة من أهل العلم والثقافة والقانون نسعى لدعم طالب الدراسات الدينية وتأهيله، ليصبح رجل دين معاصر وواقعي وعملي، فيقوم بخدمة نفسه وعائلته ومجتمعه من خلال تزوده بالعلم الكافي والوافي وتحليه بأسمى الصفات وحمل الرسالة الغالية للدعوة وإمامة المسجد والوعظ والخطابة والمساهمة في مجال التربية والتعليم وحل عدد من المشاكل الاجتماعية والنفسية والعقائدية لمن يقصده. كما نفتح أمامه آفاق جديدة مثل الدراسات العليا والقضاء الشرعي والاستشارات المصرفية والتعليم.

للمراجعة ولمزيد من المعلومات : أمانة سر قسم الدراسات الإسلامية: فرع جدرا، هاتف ٠٧/٩٧٢٢٢٢ مقسم ٢٣٠

JUST MOVED TO COLA!

Arts, Sciences & Technology University in Lebanon

English and French Sections in:

FACULTY OF ARTS & HUMANITIES

FACULTY OF SCIENCES & FINE ARTS

FACULTY OF BUSINESS

For more information:
01-819904 / 01-819905
01-819906 / 01-819907
www.aul.edu.lb

Arts, Sciences & Technology University in Lebanon
Arts
AUL
Sciences
Technology

خالص الأجرة
MAZRAA
لبنان
LIBAN
P.P.
ب. ٣٧١
P. 371

الإعجاز

علمية - دينية - فصلية
تصدر عن منتدى الإعجاز العلمي في القرآن و السنة-لبنان

بيروت، لبنان
جادة الراشدين – تقاطع بسترس الصنائع
سنتر مونتي مارينا–بلوك C ط٣
هاتف:٩٦١١٣٤٦٦٩٩+ – فاكس: ٩٦١١٣٤٦٦٨٨+
بريد إلكتروني: iijazforum@gmail.com
www.iijazforum.org